أبو هريرة

القادم من المجهول

السيد محمد علي الحلو

أبو هريرة

القادم من المجهول

السيد محمّد علي الحلو

دار الغدير

مكتبة نرجس PDF
www.narjes-library.blogspot.com

أبو هريرة / القادم من المجهول

- السيّد محمّد علي الحلو
- دارالغدير / قم
- الطبعة الاولى / ٢٠٠٠
- ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م
- ٧٠٠ تومان
- ISBN: 964-7165-57-9

جميع الحقوق محفوظة للناشر

دار الغدير للطباعة و النشر و التعليب
تلفاكس: ٧٧٤٤٦٩٥ (٢٥١-٩٨+) رقم ٣، الفرع ١٢، شارع معلّم، قم - ايران
Email: darul_ghadeer@yahoo.com

الإهداء

الى الباحثين عن الحقيقة...

أهدي اليهم

«قناعاتى»

لتاريخ ممسوخٍ..

وحقٍ مضيّع..

محمد علي

الحلو، محمّد علي
أبو هريرة / القادم من المجهول .
تأليف السيّد محمّد علي الحلو
دارالغدير ، قم ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م
ISBN: 964-7165-57-9
١. أبو هريرة ، عبد الله بن عامر ، ٢٠ قبل الهجرة ـ ٥٨ هـ
٢. الأحاديث المجهولة .
الف. عنوان.
٨ ح ٢٧ ألف / ٥ / BF ٣٢ ٢٩٧/٩٤٢
المكتبة الوطنية الايرانية ٨١-١٥٠٥٦ م

المقدّمة

بين يديك ـ عزيزي القارئ ـ قصة «ثقة» لكنه «مجهول»..وراوٍ ليس بمغمور..ملأ الدنيا بأحاديثه..وانشغل الناس بروايته..

وهو مع كل هذا..

لا يُعرفُ اسمه..

ولا اسم أبيه..

ولا اسم قبيلته..

قصةٌ ليست من قصص الخيال..بقدر ما هي مفارقات تاريخ..وليست من أدبيات الترويح..بقدر ما هي محاولات تأسيس..تأسيس دولةٍ..وتأصيل نظامٍ..وتأييد خطٍ..

سعى بكل ما ملك من قوةٍ..

وما سيملك من قوة..

الى الاطاحة بالشرعية المتمثلة في «علي»

الامام..

الخليفة..

الوصي..

القائد..

الانسان..

ومن هو على خطّ « علي » في كل هذا وذاك..

انها قصة رجلٍ «نذر» نفسه، وأوقف جهده..

لمسخ تاريخ..ومن هو على شاكلته..ممن أقره على ما هو عليه:

من تهافتٍ..

وتناقضٍ..

وتزويرٍ..

وتحريفٍ..

لا لشيء..

ولكنها «وثنية» فكرٍ، وعبودية أشخاص..تفرض على أصاحبها «التقديس» دون الحقائق...

قم المقدسة / ١٤٢٣ هـ

ذكرى عيد الغدير الأغر

محمد علي السيد يحيى الحلو

تمهيد

رحلة مجهول..
بين تاريخ خادع.. وبين مؤرخ مخدوع

ليس بين الحقيقة والخيال، أو بين الحق والباطل مسافات شاسعة، الا ما امتد به تاريخ أمّة ، أو حديث قوم ، أو مغامرة طائش ، أو منازعة سلطان ، أو قصة رجل تتنازعه أقوال القائلين ، أو تتقاذفه أمواج الاحداث المتلاطمة في خضمٍّ تاريخ مظلم من وقائع الزمان، وتتجاذبه أهواء البالغين به شئواً لا يرتد الا ما أفاءت عليه مطامحهم ، وما درّت عليه مصالحهم ، غير عابئين في حق ، ولا متحرجين من دين ، ولا ناظرين الى ما سيؤول اليه طيشهم من تغرير الجهلة القاطنين في سبات التسليم لكبرائهم وساداتهم.

ولم يكن لهذا الرجل القادم من مجاهيل اليمن الحميريين ، الا زُبالة تاريخ أيام شاءت أن ترميه أقدارها في زحمة أحداث ووقائع يقتحمها؛ غير آبه ولا متأثم ليروى ما شاءت له مقادير السياسة ومصالح السلطان.

كان ذلك الحميري القادم من مجاهيل التاريخ يصطحب معه طموحا غريباً وتوجّهاً مجهولاً يتأبطه منذ قدومه من المجهول حتى حلوله أوساط المسلمين بُعيد قفولهم منتصرين من وقعة خيبر، التي «حنّت» الكثير من لم يسلموا ، أن يُسلموا لتسلم بذلك دمائهم وأموالهم، وكان هذا الرجل الغريب يرافق الأشعريين من أهل اليمن

لينحاز الى صفوفهم. وينخرط في قبائلهم القادمة من هناك، وكان لقبيلة «دوس» حظها المتعثّر أن ينسب مثل هذا المجهول نفسه اليها.

وأن يروى عن النبي ﷺ على هذه القبيلة ما يشينها وما يخدش كرامتها -كما ستقرأه بعد حين- ومن ثم يتسول في شوارع المدينة، ويتسكّع في طرقاتها بعد أن يقتحم على المسلمين خلواتهم، أو يزاحم المارة بأن يُلقي نفسه على أحدهم ليكون قِراهُ عند هذا أو ذاك، غير آبهٍ بكرامة العربي الذي يترفّعُ عن مثل هذه الحياة الرخيصة، ولا متحرّجٍ في خلق المسلم الرافض لمثل هذه الطريقة الدنيئةِ، والى جنبه من أهل الصفوة الفقراء الذين لا يجدون ما يسد رمقهم، ولا ما يبلغ جوعتهم اليومين أو الثلاثة، حتى يشاطرهم رسول الله ﷺ قوته فيتقوتون بما يقوّم الرجل به صلبه، ويبلغ به قدر ما يقطع به شأفة حاجته، والرجل منهم ضنين أن لا يبلغ ما بلغ اليه أبو هريرة من تطفله وعدم حشمته لبيوتات النبي ﷺ وبيوت أصحابه.

واذا بلغت بالرجل هذه الحالة المريبة من تتبع المسلمين واقتحامه خلواتهم، بحجة استجدائه لقمة العيش، فان لهذا الاسلوب المريب أثره في اثارةِ مخاوف المسلمين وتوجساتهم من هذا المجهول، فيأمره النبي ﷺ أن يصطحب العلاء بن الحضرمي[1]

١-العلاء بن الحضرمي، واسم الحضرمي عبد الله.. كان حليفاً لبني أمية.. أسلم العلاء بن الحضرمي قديماً.. روى ابن سعد عن محمد بن عمر أن رسول الله (ص) بعث العلاء بن الحضرمي منصرفه من الجعرانة الى المنذر بن ساوى العبدي بالبحرين، وكتب رسول الله ←

لينفيه الى البحرين مؤذّناً، ومن ثم تقتضي سياسة السقيفة أن يكون هذا المطرود الى البحرين والياً عليها وقاضياً في حلالها وحرامها. وأنت جدُ عليم بما سيؤول له هذا الدنيء من سوس البلاد، وانقياد العباد، الى أن يتّجرَ بأموال المسلمين وأملاكهم، حتى يطفح الكيل بما يخشىٰ معه عمر بن الخطاب من سياسته في وشاية قومه اليه، فيجرّده من ماله بعد أن يقصيه من ولايته خوف أن ينقلب الأمر على الخليفة ليضمه مدخوراً الى تأسيس دولة..وبناء كيان.. وتأصيل منهج.. فآل أبي سفيان يؤسسون دولتهم.. ويقيمون كيانهم.. ويؤصّلون منهج المعارضة للشرعية الالهية بما ستجود به قريحة أبي هريرة الوضعية، فيكون راوياً في تنظير الحرب ضد شرعية الخلافة، المتمثلة في علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولم يجد هذا المجهول في مهمة التنظير هذه الا أن يكون راوياً «لفضائل» معاوية، و«مثالب» علي ـ كما زعِمَ، ـ ولم يجد معاوية الا أن يكون أبو هريرة من «أقرب» الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وآله و«أحبهم» اليه فيمنحه لقب الراوي الصدوق، ليمنح معاوية «أمين الله» و«كاتب الوحي».[1]

← (ص) الى المنذر بن ساوى معه كتاباً يدعو فيه الى الاسلام، وخلّى بين العلاء ابن الحضرمي وبين الصدقة يجتبيها. وكتب رسول الله (ص) للعلاء كتاباً فيه فرائض الصدقة في الابل والبقر والغنم والثمار والأموال يصدّقهم على ذلك، وأمره أن يأخذ الصدقة من أغنيائهم فيردّها على فقرائهم. وبعث رسول الله (ص) معه نفراً فيهم أبو هريرة وقال له: استوصِ به خيراً. الطبقات الكبرى. ٣:٢٥١

١- راجع مثل هذه الالقاب «كتاب الموضوعات» لابن الجوزي ٢: ٥ وما بعدها

واذا كانت هذه العلاقة المتبادلة من الاهتمام بين منظّر الدولة، وبين مؤسسها، تقتحم التاريخ بأبشع صوره، وأرخص مساوماته، وأقبح دسائسه، فان لهذه الصور البشعة ، والمساومات الرخيصة، والدسائس القبيحة، سوقها الرائجة في عالم ينفلتُ من أبسط قيم العلم؛ ليقع في حضيض الجهالة؛ ومن أقدس رباط الاخلاق، لينكفىء في وثاق العصبية، منحازاً الى موروث التقديس لجميع الصحابة، والتعبّد بالصحبة دون وازع علم، ولا رادع انصاف.

واذا كان منافسو علي قد أعوزتهم الحجة، وأنقصهم البرهان ؛ فليس في راوٍ مجهول العزاء عن كل ما يعانيه هؤلاء ويفقده أولئك النفر المنافسون لمواهب علي وقدراته.. ليعوّضوها بحديثٍ موضوع.. أو واقعةٍ مكذوبة.. أو موهبةٍ يصنعهاأهل الصنعة من الوضع في الحديث والتدليس في الرواية، وليس للحديث الموضوع أثره في خداع التاريخ، وان خدع بعض سوَقةِ المؤرخين، ففرقٌ بين خداع تاريخ، وبين خداع مؤرخ، فالتاريخ لا ينساق وراء نزوة سلطان أو شهوة مُلكٍ، والمؤرخ تبعة طيش هؤلاء من أجل نزوة السلطان وشهوة المُلك، وليس للحديث الموضوع الذي يصوغه وضاعو السياسة كهذا المجهول يضعه في معاوية،كمثل آية تشهد في حق علي يتلوها قرآن ويشهد عليها نبي، وبين هذه الشهادة وتلك، بون شاسعٌ كمثل الحق والباطل، أو بين الحقيقة والخيال، يحفظها التاريخ وتشهدها الاجيال.

يجدر بنا التذكير أن منزلة أبي هريرة عند رواة الحديث من أهل السنة بلغت مبلغاً لا يختلفون في توثيقه وصدقه، وقَبِلَ عنه اكثرهم كل ما رواه أبو هريرة من الاحاديث خالفت القرآن والعقل والواقع ، أو وافقتها أو حاولوا اسباغ القداسة على شخصيته دون مجال في الطعن به، ولم يعترضهم على ذلك أحد لما تسالمت عليه عقولهم ، وارتكزت بذلك عليه نفوسهم من صدق حديثه وأثره في مدوناتهم.

أجمع أهل الحديث على انه اكثر الصحابة حديثاً، وقد ضبطوا له خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين سنداً، روى له البخاري ٤٤٦ حديثاً.

على أننا يجب التنويه الى أمر مهم، لايفوت القارىء الفطن، فضلاً عن الباحث اللبيب ، الى أنّ البحث والتحقيق في مثل شخصية أبي هريرة والطعن فيها، لايعني بالضرورة الطعن بالاحاديث التي رواها أبو هريرة، وبالتالي الطعن في منابع الحديث الشريف ، فلايبقى للمسلمين ما يمكن الاعتماد عليه من الرواية والوثوق فيها.

ومعلوم فان مثل هذا الاشكال لايرد علينا لأمور:

أولا: ان الاحاديث الصحاح التي رواها أبو هريرة غير موقوفة في طرقها عليه، بل مثل هذه الصحاح رواها غير أبي هريرة، وبذلك فان

عدم توثيق أبي هريرة، لايضر في مثل هذه الصحاح المروية.

ثانياً: ان أحاديث أبي هريرة لايتوقف عليها أصل من أصول الدين، لذا فان عدم توثيقه لايعني الطعن في أحاديث مهمة تتوقف عليها أصول الدين، وقد اعترف العلاّمة رشيد رضا بقوله في أحاديث أبي هريرة: لايتوقف على شيء منها اثبات أصلٍ من أصول الدين[١]

أي أن أحاديث أبي هريرة لاتشكّل «الازمة الحديثية» كما قد يتصورها البعض في حال تضعيفه أو الغائه، فهي أحاديث لم يختص بها هو وحده، بل يمكننا أن نأخذها عن طرقٍ أخرى دون أي محذور.

فمناقشة أحدٍ من الصحابة لايعني بالضرورة الطعن بأحاديث النبي ﷺ وبالتالي الطعن بالاسلام، كما يحاول البعض تهويله، والغاء أية محاولةٍ علمية تحقيقية، من شأنها تنزيه الحديث النبوي، بل التاريخ النبوي عن عبث السياسة التي زجّت في تاريخ الحديث كل ما يمكن من مسخه وتزييفه.

١- المنار ١٩: ١٠٠ عنه أضواء على السنة المحمدية: ٢٠١.

أبو هريرة.. والرأي العام الاسلامي..
خطوة نحو الوحدة الاسلامية..

يعد البحث في أبي هريرة ضرورة علمية يشترك فيها الشيعة وأهل السنة ، فلا يصغى لدعاوى البعض من أن البحث في شخصية أبي هريرة يتبناها الشيعة وحدهم، بل شاطرهم هذا الاتجاه باحثو أهل السنة ومثقفيهم ، حيث يمكننا قراءة «أرشيفية» لتوجهات باحثي أهل السنة ورغبتهم في مثل هذه البحوث، ومحاولة دفع شبهة التعبد بشخصيات الصحابة التي لاتصمد مصداقيتها أمام البحث العلمي، وهي في الوقت نفسه تكشف عن توجهات المسلمين ورغبتهم في نزع فتيل التعصب التي تحدثه تقليدية عدالة الصحابة، وردود الفعل التي صدرت من باحثي أهل السنة في مباركة العلاّمة السيد عبد الحسين شرف الدين فى بحثه عن أبي هريرة، تكشف عن حالة صحيةٍ في سلامة الفكر الاسلامي الحر، البعيد عن التعصبات المذهبية، وهي محاولة جادة للوحدة الاسلامية التي يتبناها علماء المسلمين للوقوف على حقيقة التاريخ الاسلامي ، فقد صورت ردود الفعل عن علماء أهل السنة ومثقفيهم في تأييد محاولة الامام شرف الدين في بحثه عن أبي هريرة، لتكشف عن رغبة المسلمين في الوقوف على حقيقة مجريات التاريخ الاسلامي،

وليس للمعترضين شأن عند العقلاء فنشرت مجلة الثقافة في صفحة ٢١ من العدد (٤٢٧) من سنتها التاسعة تاريخ ١١ ربيع الثاني الموافق سنة ١٣٦٦ ٤ مارس سنة ١٩٤٨ بقلم الاستاذ احمد امين ما هذا نصه:

أبو هريرة/ للسيد عبد الحسين شرف الدين العاملي

طبع بمطبعة العرفان بصيدا

بحث حر في أبي هريرة وتاريخه والاحاديث التي رواها، وقد حكم العقل فيما رواه أبو هريرة من اخبار وحديث، واحتكم الى التاريخ في وقائع قال أبو هريرة انه حضرها ولم يحضرها، واستنتج المؤلف من ذلك كله جرأته على الوضع، كما روى انكار السلف عليه كثرة أحاديثه واتهامه بالاختلاق، والبحث طويل يقع في نحو ٣٣٠ صفحة وجديد في بابه في الجرأة وتحكيم العقل، وقد سبق المعتزلة، وخاصة النظام بمثل هذا النقد. ولكنهم لم يبلغوا هذا المبلغ في التفصيل والجرأة والصراحة، ونحن نحمد للمؤلف جهده الكبير، وتحليله المفصل الدقيق، واطلاعه الواسع، ونظرته الشاملة في الموضوع ولكن قد نأخذ عليه اشياء منها:

١ - انه لم يدقق كثيراً- فيما وضع على أبي هريرة من حديث، وما رواه أبو هريرة نفسه، فقد يكون أبو هريرة مظلوماً في بعض مانسب اليه، ودس عليه، وانتهز الناس فرصة اكثاره من روايات الحديث فأكثروا عليه.

٢ - ومنها اننا حمدنا للمؤلف الفاضل تحكيم العقل الصرف في

الاحاديث - وهو مبدأ خاص يحتاج أن نفرد له بحثاً خاصاً- فاننا نرجو أن يكون هذا المبدأ عنده عاماً شاملاً، لايطبق على أبي هريرة وحده، لانه لم يكن من شيعة الامام علي رضى الله عنه، بل يطبق على الجميع على السواء، وسواء كانوا من شيعة الامام أو من خصومه، وسواء كانوا من اهل السنة أو الشيعة، فلا يوزن الحق بميزانين، فان تعرض مؤلف لتحكيم العقل في بعض آراء الشيعة اتهم باشنع التهم، وان تعرض لاهل السنة استحسن ذلك منه، فالحق لايعرف مذهباً، والبرهان ان طبق يجب أن يطبق على الجميع، وهو رجاؤنا من المؤلف الفاضل.

ونشرت مجلة الاديب البيروتية في جزئها الخامس من سنتها السادسة بتاريخ ايار سنة ١٩٤٧ في ص ٥١ كلمة للاستاذ العلامة الشيخ عبد الله العلايلي هذانصها:

أبو هريرة/ للسيد عبد الحسين شرف الدين - ٣٣٠ صفحة - مطبعة العرفان - صيدا.

اجدني في غير ما حاجةٍ الى أن اقول شيئاً في المؤلف، فهو علم ضخم في كل ما عرف العصر من اعلام، أثروا حقل اختصاصهم الواسع، بما اعطوا من زاد الفكر، مشفوع بمثلة من ظمأة القلب، وسغب الضمائر، والتياعة الروح.

ولعل انساناً انصف الدرس واجتمعت له اساليبه وأدواته لايشك ابدا - وقد وقف على كتب هذا السيد - انه كان معنى التمحيص في

عقل المعرفه، والروح العلمى البصير في معقد العلم... وانـه رجـل التحديد في جنبات بحث لم يعهد من جـديد، الا شـيئاً فـى حـد الرغبه، أو شيئاً في حد التوهيم والادعاء.

وعلى انـي اخـذت نـفسي بـان اتـجاوز الكـاتب الى الكـتاب، والمؤلّف الى التأليف، وكنتها دون حديثه، لا أراني الا وقد فعلت، لاأراني الا وقد حوّمت في جوّه هو في جوّ أسرة.

يطالعنا السيد اليوم كالعهد به بكتاب لاريب في انـه أفـرغ فـيه جهداً خيراً كبيراً، على ما فى موضوعه من عنت وتصعب وشائكه؟، وانا حين اقول جهداً خيراً أعني جيداً ما أقول، وليس يهمني بعد ذلك، أكان مع الناس منه، على وفاق أو خلاف.

هو جد كبير في نفسه، خير في حدود البحث الذي يوصد فـيه لوجه البحث.. فيهمنا ابدا ان نتناول موضوعيا فقط، وان نعود انفسنا على التناول الموضوعي مهما كانت قسوة نتائجه وخشـونتها مـن مألوفنا.. لاسيما والمؤلف كان موضوعياً جداً في القسم الاكبر من كتابه، ولم تخنه الموضوعيه الا في الاقل اليسير منه.

اتخذ السيد من أبي هريرة الصحابي الشهير والمحدث المكـثر موضوعاً للبحث في هذا الكتاب. فقد راعته كما راعت الكثيرين من قبله كثرة ما حدث عن النبي، على الرغم من ضآلة المدة في صحبته، وراعه فوق ذلك ان في احاديثه التي يرونها مـا لا يـتفق مـع روح التعاليم المستفيضة في الاسلام الا بظروف من التعسف والتـحمل

والتكلف في التأويل.

وكان الشأن بالقدماء من رجال الحديث أو الفقه أو الكلام، أن يصبوا التهمة برأس واحد من رجال السند يجدو فيه موهنا طاعنا أو مبيحاً لاحتماله.. ولكن السيد -وهن النقلة الخطرة ومدار الكتاب - يتجاوز رجال السند الى أبي هريرة نفسه، فيأخذه بالاتهام اخذاً عنيفاً.

وذلك بعد ان استبعد من طائفة حديثه ما قديتهم به راو دونه، كما استبعد ايضاً ما يؤول من حديثه تأويلاً سائغاً مقبولاً. فعمد الى جملة منها اخرجها الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما لا مجال للطعن في رجال اسنادها، فعند علماء الجرح أن من روى له البخاري فقد جاز القنطرة، وأن ما يتفق عليه الشيخان -عند علماء الدراية ومصطلح الحديث -في قوة المتواتر.. ولا مجال لتأويلها الا بتعسف، أو لامجال لتأويلها اصلا.

وهذاكما هو واضح، يؤلف الزاماً منطقياً، فاما عدم التسليم بالقواعد والمسلمات، واما التوجه بالاهتمام، ومع فرط التورع القول بالتلبيس عليه بين ماهو حديث الرسول مما هو حديث غيره. وهذا القول بالتلبيس يسقط حجية العمل بحديثه الابمتابعات وتناحر الروايات.

ولكن السيد في الكتاب يميل الى الاهتمام، وإن كنت اراني اكثر ميلاً الى القول بالتلبيس.

وانتترى من هذا التعريف اليسير، مقدار ماهي شائكة البحث فيه، وتتضح لك هذه الشائكة اكثر فاكثر، حين تعرف أن الجمهور

الكبير من العلماء في هذا الباب يقولون مع الحافظ في ارجوزته الحديثية:

والمكثرون:بحرهم، وأنس عائشة، وجابر المقدس

صاحب دوس، وكذا ابن عمرا رب قني بالمكثرين الضررا

وصاحب دوس هذا هو أبو هريرة..فالذي هو عند الدعاء في مقام الوسيلة،ماكان ليمر حتى في طاقة خيالهم أن يؤخذ من المثلبة بنسيلة. واستخدم السيد في منهج البحث طريقة جد دقيقة أقامها على قاعدة النقد المعنوي أو الباطني المتعارف في نقد الوثائق في مصطلح التاريخ الحديث، وهذه الطريقة وإن استنها المحدثون القدماء في جملة ما استنوا من طرائق، ظلت غير شائعة الأثر في التطبيق، والى السيد في هكذا كتاب يرجع فضل التوسع بها في درس متن السنة، وبكثير ايضاً من صدق الملاحظة، وتوجيه المأخذ وتصيد وجه التوهين.

وإن شئت أن ترى مقدار استجماع القوة في منهج البحث عنده، فارجع الى تعليقاته على حديث خلق آدم صفحة ٥٦، وحديث السهو صفحة ١١٠ وحديث سرقة الشيطان صفحة ٢١٩، والى فصل دعواه الحضور في وقائع لم يحضرها صفحة ٢٥.

وأشار السيد الى من انكر عليه من السلف صفحة ٢٦٢، وانا أذكر أن صديقي المرحوم الشيخ عبد العزيز الخولي صاحب كتاب مفتاح السنة، كان يرى رأياً قريباً من رأي السيد، ولاسيما في حديث الذباب الذي اخرجه أبو داود في سننه.

وإن كنّا نأخذ من شيء على الكتاب، فالقطع أحياناً بقضايا مذهبية كأنها محل اتفاق، ولاسيما في الجانب الاصولي منها، فقد قطع في مقدمة بأصالة العدالة في مطلق الصحابي عند الجمهور، وهو محل خلاف عندهم، كما نص عليه ابن الحاجب في المختصر، وقطع بان النسخ لايجوز قبل حضور وقت العمل به ورد الحديث بسببه، وهو ليس محل اتفاق، بل كثير من الاصوليين كالباقلاني يذهبون الى جوازه، وكذلك ايقاع الفعل في وقت لايتسع له الخ.. وليس بشيء في مقام الالزام الرد على المخالف بما لايقوله.

ومهما يكن فالكتاب ادق ما كتب في مثل موضوعه وهو اكبر قيمة من أن يكتفى منه بهذا التعريف اليسير.

ونشرت مجلة الكاتب المصري في المجلد ٦ من ستتها الثانية عدد ٢١ صفحة ١٧٢ بتاريخ يونيو سنة ١٩٤٧ رجب سنة ١٣٦٦ بقلم الاديب الاستاذ محمد سعيد العريان ماهذا لفظه:

أبو هريرة -هذا كتاب -كما يقول مؤلفه: قد تنقبض دونه وجوه، وتنقبض نفوس مزورة عنه، فقد أنشأه لتجريح رجل من اصحاب رسول الله ﷺ وكان اكثرهم رواية عنه، ذلك أبو هريرة الدوسي وهو فيما يصفه: «امي، مفرط، مكثار، كذاب، مغلول، مهول، متزلف، سخيف، سقيم العقل، صنيعة بني أمية، احترف صناعة الاحاديث ليعيش من برهم» وهو ينكر عليه أن تكون صحبته لرسول الله سبباً الى تنزيهه من أي هذه الصفات السابقة. «والحق أن الصحبة بما هي

فضيلة جليلة، لكنها غير عاصمة، والصحابة فيهم العدول، وفيهم الاولياء، والاصفياء، والصديقون وهم علماؤهم وعظماؤهم وفيهم مجهول الحال، وفيهم المنافقون من اهل الجرائم والعظائم»

وكأنما خشي المؤلف أن يتأوّل عامة المسلمين رايه في أبي هريرة -وهو رجل صحب النبي سنوات- فيقول في معرض الدفاع «الجمهور بالغوا في تقديس كل من يسمونه صحابياً حتى خرجوا عن الاعتدال... انما يعفون أبا هريرة وسمرة بن جندب والمغيرة ومعاوية ومروان وامثالهم تقديساً لرسول الله، لكونهم في زمرة من صحبه صلى الله عليه وآله وسلم، ونحن انما نتقدهم تقديساً لرسول الله ولسنته صلّى الله عليه وآله وسلم».

ويتضمن الكتاب مقدمة وثمانية عشر فصلاً وخاتمة ويتحدث في فاتحة الفصل الاول عن السبب الذي حفّزه الى انشاء هذا البحث فيقول: أبو هريرة: حدّث عن رسول الله ﷺ فأكثر، وروت عنه الصحاح الستة وسائر مسانيد الجمهور فاكثرت فلم يسعنا ازاء هذه الكثرة المزدوجة الا أن نبحث عن مصادرها لاتصالها بحياتنا الدينية والعقلية اتصالاً مباشراً، ولو لا ذلك لتجاوزناها وتجاوزنا مصدرها الى ما يغنينا عن تجشم النظر فيها وفيه، لكن أمثال هذه الكثرة قد استفاضت في فروع الدين واصوله، فاحتج بها اهل المذاهب الاربعة، ومتكلموهم من الاشاعرة وغيرهم في كثير من احكام الله وشرائعه عزّ وجل، ملقين اليها سلاح النظر والتفكير، لذلك لم يكن لنا

بد من البحث عن هذا المكثر نفسه وعن حديثه كمّاً وكيفاً لنكون على بصيرة فيما يتعلق من حديث باحكام الله عزوجل»

ثم يمضي في الحديث عن نسبه ونشأته وتاريخه منذ اسلم حتى مات في عهد معاويه مستعرضاً في ثنايا ذلك لبعض ما روي عنه من احاديث تنبو عن العقل والذوق والكياسة، وتخالف تعاليم الدين ، مبيّنا ما فيها من التناقض والاحالة وعلائم الوضع والاختراع ، في اسلوب خطابي يتراوح بين اللين والشدة.

ليت شعري أكان أبو هريرة كما وصفه مؤلفه، أم كان رجلاً آخر؟

سؤال لا أكاد أملك الرأي معه، وقد عرف القراء أننى فى هذا الباب لست من اهل الاختصاص، فحسبي أن وصفت لهم هذا الكتاب، وانه لكتاب حقيق أن يلتفت اليه أهل هذا الفن، ليتولّى كلمتهم في صحابي له مثل مكانة أبي هريرة في رواية الحديث.

لم يئل المعجبون بأبي هريرة جهدا في الدفاع عنه، والتصدي لكل المحاولات العلمية التي تبحث في شخصية أبي هريرة.

فقد توهم هؤلاء، بأنهم الموكلون للدفاع عن عدالة الصحابة وقداستهم، والمكلّفون في الردّ عن كل محاولة من شأنها ان تبحث عن شخصية أبي هريرة، ظنّاً منهم أن الدين وحرمة الحديث النبوي يتعرضان للمخاطرة بسبب المحاولات العلمية التي يتبناها علماء الفريقين للكشف عن الحقيقة.

فالجهود المبذولة من لدن الفريقين لكشف النقاب عن محاولات التزوير أمراً بات ضرورياً في رحاب البحث العلمي، وتحكيم العقل كذلك. فامتّنا الاسلامية تعيش خطر التهديد الفكري الذي يقتحمه الآخرون بحجة «التصحيح»، ملوحين الى ما ارتكبه التاريخ الاسلامي من «مجازفاتٍ» على مستوى المصداقية التي ينبغي توافرها في مثل هذه المجريات التاريخية، لتقف الاجيال على هويتها وتتطلع لمستقبلها في ظل عقيدتها الالهية، وتاريخها المشرق الحقيقي، أما اذا بقيت الاجيال تتعبد بقداسة الآخرين دون مسوّغ علمي ، مقهورة الارادة في اختياراتها للمنطق الواقعي التاريخي، أو تفرض عليها آراء «جاهزة» في عدالة بعض الصحابة،

خلافاً للواقع الذي بين أيديها، فان ذلك يُعد سلباً لارادتها، وتشويهاً للحقيقة التي يسعى اليها الجميع بحكم مسؤليتهم في البحث عن الواقع.

بعدما قدّمه العلمان المحققان، السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي أحد علماء الشيعة، والشيخ محمود أبو رية أحد علماء أهل السنة ،في دراستهما لتاريخ أبي هريرة وتسليط الضوء على شخصيته، انهالت محاولات المدافعين عن أبيهريرة باسلوب بعيد عن التعاطي العلمي محاولة من هؤلاء لتسجيل حضورٍ فقط في الدفاع عن أبي هريرة، وليس أكثر.

أى اتسمت دفاعات هؤلاء فى ردودهم على العلمين، بدوافع شخصية أكثر من كونها علمية، فبين المنتقدين لشخصية أبي هريرة على ضوء المعطيات التاريخية أو بين المدافعين عنه ؛ تغيب الرؤية التاريخية التي ينبغي توافرها لدى فريق الدفاع، وكانت ردودهم «حوار الطرشان» ليس أكثر.

فبقدر ماحاول العلمان الموسوى وأبي رية، من تحكيم الرواية التاريخية، ومستلزمات البحث العلمي، حاول هؤلاء المدافعون للسعي الى غلق «ملفات» مناقشة شخصية أبي هريرة وتاريخه، ومحاولة تجنب هذه البحوث باثارة التشكيك في نوايا العلمان، واتهامهما في التطرف والتعصب للنيل من قداسة شخصية أبي هريرة. وهي الدوافع والاسباب التي نأت بنا عن مناقشة مثل هذه الكتابات، والتعرض لما تضمنته من محاولات، ولعلنا نستعرض

منطق أحدها، وهو من «معاصري» المدافعين لنرى كيف يتعاطى مع هذه الحالة التى تفرض نفسها على الواقع العلمي والتاريخي الاسلامي، وهي «ظاهرة أبي هريرة»، وتسميتها بالظاهرة انطلاقاً من «التراكمات» التي تخلّفها هذه الظاهرة في حدود الواقع التاريخي، والرؤية الحديثية التي يتعاطى معها جمهور المذاهب الاسلامية، وماخلّفته هذه الظاهرة من مآس على المستوى الفكري للاجيال الاسلامية.

قال الزبير أبو سلمان في نقده للدكتور مصطفى بوهندي مؤلف كتاب «أكثر أبو هريرة».

..كذلك الدكتور بوهندي، لماتصدى لنقد أبو هريرة، ينبغي أن يدرك ابتداءً أنه يناقش الموضوع بآيات أجنبية، وأدوات خارجة عن الفئة التي هو منها وفيها، أو هكذا نظن.. ومن ثم يدرك سر ما وجه اليه من نقدٍ عتيد، وغضبٍ شديد، فالذي يرد عليه ينبهه الى خطر المغامرة الفكرية التي يتحرك فيها منفلتاً من ضوابط وقواعد وأصول متفق عليها عند أهل السنة.[١]

وهذا التهديد الذي يمارسه «المدافع» عن أبي هريرة يخرجه عن أصول البحث العلمي تعبّداً بأصول أهل السنة، كما حلى له أن يعبّر، وحاول أن يفصل بين قواعد وأصول المنطق العلمى، عن قواعد وأصول متفق عليها عند أهل السنة، وكأن ذنب الدكتور مصطفى بوهندي في كتابه «اكثر أبو هريرة» هو خروجه عن المألوف السني،

١-السهام الكاسرة لشبهات بوهندي الخاسرة، الزبير أبو سلمان: ١٠.

وتمسكه بمألوف المنطق العلمي الذي لايتنازع في حقيقته اثنان.

وهكذا تجد المدافعين عن أبي هريرة يرفعون شعار «القداسة» الذي يمكن تطبيقه على أية شخصية صحابية، ويتهمون من يناقش هذه الشخصية أو تلك وفق المعطيات العلمية، خارجاً على القانون، ومرتكباً كل محظور.. من هنا، فقد ارتأينا الإعراض عن مناقشة مثل هذه المحاولات، والاكتفاء بذكرها فقط، لمعرفتنا نتيجة مثل هذه «الحالات» سلفاً، وهي تحاول تعبئة الرأي العام ضد أي جهدٍ علمي يخضع لمواضيع البحث والتنقيب.

مشاريع تصحيح الرؤية العامة
في شخصية أبي هريرة:

أما المشاريع التي قدّمها علماء المسلمين في تحقيق تاريخ أبى هريرة فهي :

أولاً: أبو هريرة للعلامة السيد عبد الحسين شرف الدين. يتألف من مئتين وتسع وثلاثين صفحة من القطع الرقعي، وقد طبع عدة طبعات في العراق وفي بيروت وايران.

ثانياً: شيخ المضيرة، أبو هريرة، للعلامة الشيخ محمود أبي رية، يتألف من مئتين وثلاث وأربعين صفحة من القطع الوزيري، طبع كذلك في العراق وبيروت وايران.

ثالثاً: أبو هريرة فى التيار، للشيخ عبد الله السبيتي رداً على كتاب «راوية الاسلام» للخطيب العجاج وهو رد على كتاب شيخ المضيرة للشيخ أبي رية. والكتاب من الحجم الرقعي وهو أكثر من ثلاثمائة صفحة.

رابعاً: أكثر أبو هريرة، للدكتور مصطفى بوهندي استاذ جامعي من المغرب، من أهل السنة، وقد دار بحثه حول مرويات أبى هريرة وكثرتها اعتماداً على رواية رواها البخاري عن أبي هريرة : يقولون أكثر أبو هريرة وقد تناول الكاتب بالبحث والتحقيق هذه الظاهرة.

الكتاب يتألف من تسعين صفحة ومن الحجم الرقعي.

المدافعون عن أبي هريرة
والمتوجسون من البحث العلمي

وهم مجموعة من الرافضين للمنطق الموضوعي على ضوء المعطيات التاريخية في دراسة شخصية أبي هريرة، يدفعهم حرصهم على ابقاء حالة القداسة لمثل هذه الشخصية دون النيل منها علمياً وتحقيقياً.

واليك أيها القارىء قائمة باسماء هذه المحاولات الدفاعية، وستقرأها من خلال عناوينها المختارة:

اولاً: أبو هريرة وأقلام الحاقدين. لعبد الرحمن عبد الله الزرعي، دار الارقم الكويت، الطبعة الثالثة صفر ١٤٠٦ هجري يتألف من ١٠٨ صفحة من الحجم الرقعي.

ثانياً: البرهان في تبرئة أبي هريرة من البهتان / عبد الله بن عبد العزيز بن علي الناصر، وهو من القطع الكبير يضم اكثر من مئتين صفحة. طباعة القاهرة.

ثالثاً: السهام الكاسرة لشبهات بوهندي الخاسرة./ نقد كتاب: اكثر أبو هريرة.

تأليف الزبير أبو سلمان، مطبعة أليت – سلا، مغرب وهو بحدود تسعين صفحة من القطع الرقعي.

رابعاً: أبو هريرة راوية الاسلام. للخطيب العجاج، وهو رد على كتاب شيخ المغيرة لابي رية.

خامساً: الصحابي الجليل أبو هريرة في ضوء مروياته/ محمد ضياء الرحمن الاعظمي. طباعة الرياض.

سادساً: أبو هريرة صاحب رسول الله وخادمه/ حارث سليمان الضاري. دار النقاش، الاردن.

هذه قائمة من محاولات الدفاع عن أبي هريرة ، تكشف عناوينها عن مدى الحرص للإبقاء على قداسة أبي هريرة بعد كل وجدوه من الادلة والبراهين على حقيقة الرجل وخروقاته .

ثقة لا يعرف اسمه

ان أغرب ما يمكن أن يقف عليه الباحث أن أبا هريرة مجهول الاسم ومجهول الاب، فلا يعرف اسمه ولا يعلم أباه، وهذا من غريب ما نقف عليه في دراسة أول راوٍ في صحاح الحديث، حيث يعدّ أبو هريرة من أوثق الرواة ولا تُناقش رواية من الروايات التي رواها أبو هريرة المجهول.. ولعل ربع أحاديث المدونات الحديثية يرويها هذا المجهول.

قال ابن عبد البر القرطبي في الاستيعاب: قال أبو عمر: اختلفوا في اسم أبي هريرة واسم أبيه اختلافاً كثيراً لا يُحاط به ولا يُضبط؛ في الجاهلية والاسلام، فقال خليفة:ويقال اسم ابي هريرة عبد الله بن عامر ويقال بربر بن عشرقة ويقال: سكين بن دومة، وقال أحمد بن زهير: سمعت أبى يقول اسم أبي هريرة: عبد الله بن عبد شمس ويقال: عامر قال: وسمعت أحمد بن حنبل يقول اسم أبي هريرة عبد الله بن عبد شمس ويقال: عبد غنم بن عامر ويقال: غنم ويقال سكين...ثم يذكر القرطبى عدة أسماء لابي هريرة ولم يصل الى حاصل الا أنه ظن بتخيل لا نعلم منشأه أن اسمه عبد الله أو عبد الرحمن قال: ومثل هذا الاختلاف والاضطراب لا يصح معه شيء يعتمد عليه، الا أن عبد الله أو عبد الرحمن هو الذي يسكن اليه

القلب في اسمه في الاسلام والله أعلم..[١]

واعتراف القرطبي بأن التحقيق لا يوقفهم على شيء سوىٰ ما يتخيله ظناً أن اسمه عبد الرحمن أو عبد الله ، وظنّه هذا ليس بحجّة ولا يمكن الأخذ به. وقد زاد ابن حجر العسقلاني في الاصابة الاضطراب اضطراباً آخر والغموض غموضاً ، حيث قال بعد أن عد له أسماء كثيرة ولأبيه : فهذا معنى قول من قال اختلف في اسمه واسم أبيه على أكثر من ثلاثين قولاً ، فامّا مع التركيب بطريق التجويز فيزيد على ذلك فيكون نحو مائتين وسبعة وأربعين «٢٤٧» من ضرب تسعة عشر في ثلاثة عشر، وأما مع التنصيص فلا يزيد على العشرين، فان الاسم الواحد من أسمائه يركب مع ثلاثة أو أربعة من أسماء الأب الى أن يأتي العدد عليهما فيخلص للمغايرة مع التركيب عدد أسمائه خاصة وهي تسعة عشر..[٢]

وابن حجر مع «مهارته» الرياضية واستخدامه للمعادلات الحسابية، الا أنه لم يخرج بنتيجة ثابتة، بل زاد الاضطراب اضطراباً، والغموض غموضاً.

ومن العجيب أن ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل مع أن مهمته استقصاء المجروحين والمعدّلين، الا أنه حاول أن يتغاضى عن هذه المشكلة ، وقد تشدّد في غير أبي هريرة فلم يقبل توثيق أحد وفيه

١-الاستيعاب في معرفة الاصحاب ٤: ٢٠٧.

٢- الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٤: ٢٠٤.

مغمز، أو ملمز حسب مبتنياته التجريحية او التعديلية كذلك.

قال في ترجمة أبي هريرة:

عبد الشمس أبو هريرة الدوسي، واختلفوا في اسمه واسم أبيه، فأما من قال اسمه عبد شمس فأبو نعيم، ويحيى بن معين، وأبو زرعة الى أن قال: علي بن الحسن السجستاني سمعت أحمد بن حنبل يقول: اسم أبى هريرة عبد شمس، وعبد نهم بن عامر، ويقال عبد غنم، ويقال: سكن نا عبد الرحمن قال سمعت أبي يقول: اسم أبي هريرة عبد شمس وعبد غنم، ويقال عامر ويقال عبد نعم، وقيل عبد نهم بن عامر وقيل عبد الله بن عامر من الازد من دوس. وقال النووي في مواضع من كتبه: اسم أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر على الاصح من ثلاثين قولاً.[١] وفي تهذيب التهذيب يعترف ابن حجر عن عجزه لحل هذه المشكلة عند نقله لقول ابن عبد البر دون أن يعلّق عليه بما يبدي توافقه معه.

قال ابن عبد البر: ولكثرة الاضطراب في اسمه واسم أبيه لم يصح عندي في اسمه شيء يعتمد عليه.[٢]

وقال القطب الحلبي: اجتمع في اسمه واسم ابيه اربعة وأربعون قولا.[٣]

وقال ابن حبان: ابو هريرة الدوسي ودوس قبيلة من اليمن، اختلفوا في اسمه فمنهم من قال: عبد شمس، ومنهم من قال: عبد

١-الجرح والتعديل عبد الرحمن بن أبي حاتم ٤٩:٦ ترجمة رقم ٩٥١٤.

٢-تهذيب التهذيب ١٢: ٢٦٧.

٣- هامش كتاب الثقات لابن حبان ٣: ٢٨٥.

عمرو ومنهم من قال: سكين بن عمرو ومنهم من قال: عمير بن عامر بن عبد ود وقد قيل: ان اسمه عبد عمرو بن عبد غنم، ومنهم من قال: كان اسمه عبد نهم فسماه النبي ﷺ عبد الله وهذا اشبه.[١]

وذهب بعضهم الى أن النبى ﷺ سماه عبد الرحمن.

وقد أنكر ذلك ابن حجر في الاصابة من أن النبي ﷺ قد سماهُ، ولم يرتض ذلك فقال: أنكر أن يكون النبى ﷺ غيّر اسمه فسماه عبد الرحمن كما نقل أحمد بن حنبل عن أبى عبيدة الحداد..[٢]

ولم يكتفوا حتى نسبوا كنيته الى رسول الله ﷺ فقال ابن حجر في تهذيب التهذيب: وكنيته أبو الأسود فسماه رسول الله ﷺ عبد الله، وكناه أبا هريرة، قيل لأجل هرة كان يحمل أولادها.[٣]

الا أن أبا هريرة يرد ما ذهب اليه ابن حجر وأمثاله من أن كنيته هذه هي ما كناه به رسول الله ﷺ، بل هي معه منذ أن كان عند أهله وقد جاء الى المدينة وهو يحمل الكنية وليس لرسول الله ﷺ دخل في ذلك.

فعن عبد الله بن رافع قال: قلت لأبي هريرة لم كنوك أبا هريرة؟ قال: أما تفرق مني؟ قال قلت: بلى والله اني لاهابك قال: كنت أرعى لأهلي وكانت لي هريرة صغيرة فكنتُ اذا كان الليل وضعتها في شجرة فاذا أصبحتُ أخذتها فلعبت بها فكنونى أبا هريرة.[٤]

١-الثقات لابن حبان ٣: ٢٨٥.
٢-تهذيب التهذيب ١٢: ٢٦٣.
٣-الطبقات الكبرى ٣: ٢٣٢.
٤- شيخ المضيرة أبو هريرة : ٤٨.

وقال ابن قتيبة في المعارف: أبو هريرة: اختلفوا في اسمه وأكثروا[١]

وقال محمود أبو رية: لم يختلف الناس في اسم أحد في الجاهلية والاسلام مثل ما اختلفوا في اسم أبي هريرة فلا يُعرف على التحقيق اسمه الذي سماه به أهله ليدعى بين الناس به، وكذلك اختلفوا في اسم أبيه اختلافاً كثيراً. وقال: ومما أوردناه لك يكون الجزم باسم صحيح يطلق عليه من ضروب التخمين..

وقال في أسد الغابة: وقد اختلف في اسمه اختلافاً كثيراً لم يختلف في اسم آخر قبله ولا يقاربه.[٩]

وقال السيد شرف الدين: كان أبو هريرة غامض الحسب، مغمور النسب، فاختلف الناس في اسمه واسم أبيه اختلافاً كثيراً، لا يحاط به ولا يضبط في الجاهلية والاسلام[١٠]

وفي البداية والنهاية قال:

ابو هريرة الدوسي: وقد اختلف في اسمه في الجاهلية والاسلام واسم أبيه على أقوال متعددة..[١١]

١- المعارف لابن قتيبة ٢٧٧.
٩- أسد الغابة ٥: ٣١٥.
١٠-أبو هريرة للسيد عبد الحسين شرف الدين: ١٨.
١١- البداية والنهاية ٨: ١٠٤.

بربر بن عشرقة والإنتماء غير العربي

أشار القرطبي الى أن اسم أبي هريرة هو: «بربر بن عشرقة» ولم تعهد العرب اسماً كهذا، وهو اشارة الى أن الاسم غير عربي مبين، اذ يحمل معه انتماءً مثيراً، فالاسم لايعني الا عن كون أبي هريرة لاينتسب الى بيئةٍ عربية لانحداره عن وسطٍ غير عربي خفي علينا وعلى المؤرخين كذلك، لذا تراهم قد ماجوا واضطربوا في تعيين اسمه فضلاً عن انتمائه.

وتحسبُ أن خفاء اسمه الحقيقي أمراً متعمداً شاركت فيه عدة عوامل أهمها: أن أبا هريرة أخفى اسمه كونه سيلعب دوراً مهماً في الوسط العربي - الاسلامي، الذي تثيره الانتماءات غير العربية وهي في طور القبلية الشديدة، فضلاً عن توجساتها من دوافع غير العربي متحكماً في فكرها، وثقافتها.

والامر الاخر المهم،: لعل البدايات التدوينية لترجمة أبي هريرة أخفت اسمه وحاولت التمويه عليه خصوصاً اذا أشيع عن اسمه غير المتعارف «بربر بن عشرقة» منظراً للفكر الاسلامي، وراوياً لاحاديث النبيﷺ التي ملأت مدوّنات الحديث وأشغلتها.

فمتى يكون «بربر بن عشرقة» عربياً، ليكون منظّراً وراوياً للاحاديث «الصحاح»؟!

مجهول النشأة والأصل والنسب

على أن هذه المجهولية لم تقتصر على اسمه فقط بل حتى على أصله ونشأته، فهو مجهول النسب والنشأة والأصل كذلك قال محمود أبوريه: كل ما عرف عن أصله - على ما قيل - أنه من عشيرة سليم بن فهم من قبيلة أزد، ثم من دوس احدى قبائل العرب الجنوبية، أما نشأته فلم يعرفوا عنها شيئاً وكذلك لم يعرف الناس عن حياته في بلاده اليمن في مدى السنين التي قضاها بها قبل اسلامه.[1]

وكان أبان بن سعيد بن العاص قد أغلظ عليه في مجهولية نسبه امام النبيﷺ وفضح اندساسه في جماعة المسلمين متوجساً من مجهوليته واختراقه لهم فقال له: واعجباً لوبر تدلى علينا من قدوم ضأن، وفي رواية: يا وبر تحدّر من رأس ضال. فقال النبى ﷺ: يا ابّان اجلس، ولم يقسم له - أى لم يقسم لأبي هريرة - وقد علّق الخطابي على قول أبان هذا فقال: أراد أبّان تحقير أبا هريرة وأنه ليس في قدر من يشير بعطاء ولامنع لانه قليل القدرة على القتال. وعن أبي الحسن القابسي: أن معناه انّه ملصق في قريش، وشبهه بما يعلق بوبر الشاة من الشوك وغيره. ولم يكن لأبي هريرة شرفاً وحسباً يفاخر به غيره فاذا سُئل أبو هريرة عن نشأته وأصله فانه لا

١ـ أبو هريرة محمود أبو ريّة: ٤٩.

يزيد على قول:

نشأت يتيماً وهاجرت مسكيناً وكنت أجيراً لبسرة بنت غزوان بطعام بطني وعُقبة رجلي، فكنت أخدم اذا نزلوا وأحدوا اذا ركبوا.[١]

ولم يزد أبو هريرة على حسبه شيئاً بل هو يعترف بمجهوليته أو لعله كان يتعمّد في الغموض على نسبه ونشأته وأصله، وهذا يزيدنا تساؤلاً اكثر وهو: مالذي يدعو أبو هريرة الى الاقتصار على هذه الاجابة والغموض على نسبه وأصله؟!

١ - نفس المصدر: ٥١. عن البداية والنهاية ٣: ٢٨٧.

هل هو من دوس فعلاً ؟

على أن أبا هريرة يوقفنا على أمرٍ مهم، وهو الشك في انتسابه الى قبيلة دوس فعلاً، وانتهائه اليها، وذلك حين طعنه على قبيلة دوس واستصغاره لهم، واحتقاره اياهم، ومن ثَمَّ ينسب ذلك الى النبي ﷺ.

فعن أبي العاليه، عن أبي هريرة قال: لما أسلمتُ قال رسول الله ﷺ: ممن أنت؟

فقلت: من دوس، فوضع يده على جبهته وقال:

ماكنت أرى أن في دوس رجلاً فيه خير.[1]

وواضح أن هذه الاكذوبة تتنافى مع ما نقله بعضهم، أنه قدم مع وفد دوس الاشعريين.

فقد نقل ابن سعد في طبقاته خبر الوفد هكذا:

.. وقدم الدوسيون فيهم أبو هريرة، وقدِم الاشعريون ورسول الله بخيبر، فلحقوه بها فكلّم رسول الله أصحابه فيهم أن يشركوهم في الغنيمة ففعلوا.[2]

فمتى قال النبي ﷺ: ماكنت أرى أن في دوس رجلاً فيه خير؟ ولماذا؟! مع أن الدوسيين جاؤوا مسلمين. فما الذي يدعوا النبي ﷺ الى ذلك؟! وهذا يوقفنا على أمرين يجب التسليم بهما:

---

١ - الطبقات الكبرى لابن سعد ١: ٣٥٢. ٢ - نفس المصدر.

الامر الاول:

اذا أخذنا بمقالة أبى هريرة فمعنى ذلك نفي وجود أبي هريرة مع الوفد الدوسي، اذ من المستبعد أن يقول ذلك النبيﷺ بمحضرٍ من الدوسيين، علماً أن الرواة يدّعون أنه كان مع وفد دوس فكيف يسأله النبيﷺ: من أين أنت؟ وهو مع الدوسيين ، فهل خفي على النبيﷺ قدومه معهم، والروايات تقول أنه كان بصحبتهم؟ أم أن مسألة قدومه مع الوفد غير صحيحة؟

الامر الثاني:

ان طعنه على دوس يدل على أن أبي هريرة ينفي الانتماء اليهم، والا ليس من خلق العربي – وقد راعى قبيلته محترماً انتمائه لها – أن يأذن لاحدٍ في النيل من قبيلته ، فهي أصله ، ومحتده ، وانتهائه، ولاتجد أحداً من أهل القبائل، الا ويفتخر في انتهائه الى قبيلته مشيداً بها، وبمكارمها، ليؤول ذلك اليه، وليتخذه سبباً فى تعاليه وتفاخره على غيره.

ونحن الان بين امرين :

تكذيب مدّعى أبي هريرة، و كذب نسبة ذلك الى النبيﷺ.

وهذه دلالة على كذبه وتجنّيه على النبي، ووضعه الاحاديث عليه ﷺ أو نفى انتمائه الى دوس الاشعريين.

واذا نفينا انتماء أبى هريرة الى دوس. فمن أين هو؟!

والى اين ينتهي؟!

ومن أين جاء؟!.وكيف نفذ الى أوساط المسلمين؟!

نفي أم امارة؟

لم يكد يستقر أبو هريرة في المدينة، حتى ألحق النبيﷺ أبا هريرة بالبحرين منفياً عنها بحجة مرافقة العلاء بن الحضرمي، اذ لم يعهد من النبي ﷺ أن يبعث مع أمير ولاية من يرافقه هناك الا أن يتولى لقضاء أو قيادةِ جيش، أي لأمر خطير لا بد من مراعاة ذوي الخبرة فيه والكفاءة.

وأبو هريرة حينما صحب العلاء بن الحضرمي، لم يصحبه بعنوان قاض، أو قائد عسكري، أو غير ذلك بل صحبه مطروداً، ورافقه منفياً، وطلب أبو هريرة من العلاء أن يكون مؤذناً في البحرين، ومعلوم أن مهمة المؤذن ليست بالعسيرة اذ بامكان الوالي أو القاضي، أو غيره من المسلمين أو ممن أسلم أن يتولى مهمة الآذان، فهي ليست قضية تحتاج معها أن يرحل أحد من المسلمين، من المدينة الى البحرين لهذه المهمة التي بامكان أي أحد ممارستها، بل لم نعهد أن بعث النبي ﷺ مؤذناً الى بلاد ما.

روى ابن سعد في طبقاته قال أخبرنا محمد بن عمر قال: حدّثني عبد الله بن يزيد عن سالم مولى بنى نصر قال: سمعت أبا هريرة يقول بعثني رسول الله ﷺ مع العلاء بن الحضرمي وأوصاه بي خيراً، فلما فصلنا قال لي ان رسول الله ﷺ قد أوصاني بك خيراً، فانظر ماذا تحب

قال قلت: تجعلني أؤذن لك ولا تسبقني بآمين، فأعطاه ذلك.[١]

والخبر ينفى أن يكون قد رافق ابن الحضرمى أحد غير أبى هريرة، وما ذكره أن ابن الحضرمى قد رافقه أبو بكرة اضافة الى ابي هريرة في غير محله، اذ ان النبي ﷺ اذا أراد أن يوصي العلاء بمن يرافقه خيراً فلابد أن يوصي بمن معه، ولا معنى لتخصيص أبي هريرة بوصيته ﷺ اذ ما هي خصوصية أبي هريرة مع أن اسلام أبي بكرة وبعث العلاء بن الحضرمى الى البحرين لا يستقيم، فأبو بكرة أسلم في سنة ثمان كما ذكره ابن حجر في الاصابة أى يوم فتح الطائف، وقد كان في شوال من السنة الثامنة للهجرة وبعث النبي ﷺ بعد منصرفه من الجعرانة كما في الاصابة لابن حجر[٢] وانصراف النبي من الجعرانة كان في ذي القعدة أي بعد اسلام أبي بكرة بايام فمن المستبعد أن يبعث النبي ﷺ حديث عهدٍ بالاسلام لم يتفقه في الدين بعد ليتولى أمراً من قبله ﷺ، فخبر بعث أبا بكرة مع العلاء بن الحضرمى الى البحرين اضافة الى أبي هريرة في غير محله.

اذن لم يكن غير أبي هريرة مرافقاً للعلاء بن الحضرمي، مطروداً من قبل النبي ﷺ، منفياً عن المسلمين الذين ارتابوا من أبي هريرة المجهول، وايصاء النبي ﷺ به خيراً دليل لطف النبي ﷺ ورأفته، وهو لا يخفي توجسه منه ﷺ وكذلك المسلمين عموماً.

١- الطبقات الكبرى لابن سعد ٣: ٢٥٢. ٢-الاصابة لابن حجر٧: ٢٠٤.

إذن ؛ هو النفي دون غيره

فالتحاق أبو هريرة بالبحرين اذن ؛ هو النفي دون غيره وليس للامارة كما يزعم بعضهم،بل هو نفي من قبل النبي ﷺ الذي ارتاب منه ومن محاولات اختراقه بين اوساط المسلمين، حتى أن النبي ﷺ حذّره بلطفه المعهود فقال له: «زرغباً تزدد حباً» وهو مثلٌ سائر بين العرب، يتوخون فيه تأديب من لا يجدُ حرجاً في اقتحام الامور دون مراعاة عواقبها، أو يقتحمون على الناس ما لا يرتضون، واذاكان هذا دأب العرب وهم يعيشون طور جاهليتهم، ويرتعون في حياتهم، دون بلغةٍ من دين، فما بالك في دين الله الذي جاء بمكارم الاخلاق وأطائب السير ليفشي بين الناس حب بعضهم بعضاً، ولكي لا يجدوا فيما بينهم حرجاً فيما قضى الله ورسوله...

واذا كان أبو هريرة القادم من اطراف المجهول يقتحم على المسلمين خلواتهم بحجة بلغة عيشه وكفافه وتكسبه من بيوتات المسلمين - اذا علمنا أن أهل الصفة من فقراء المسلمين ، يعانون كما يعاني أبو هريرة من الفاقة والعوز، فلماذالم يسلكوا ما سلكه أبو هريرة من الاقتحام والتطفل بحجة الاستجداء والتسكع؟ - وهو أمر أراب المسلمين جميعاً، ووجدوا فيه عنائهم، وتعكير صفو وئامهم، فانهم لم يعهدوا من قبلُ مجهولاً؛ يخترقهم بهذه السذاجة غير

المعهودة؛ الا واثار ذلك الشك في شخص هذا المجهول، وتوجسوا منه طالما هم يعيشون حالة حرب مع اليهود، الذين كثرت تحرشاتهم بالمسلمين، وازدادت خروقاتهم بين صفوفهم وأوساطهم، فوجدوا فيه المجهول القادم من خفايا مكائد اليهود، والذين دسوا عيونهم، وأزلامهم، لتنفيذ خططهم للاطاحة بهذا الدين الجديد، الذي هدد كيانهم وأنذر وجودهم ، ففي تعليقته على هذه المقالة «زرغباً تزدد حباً»:

قال العسجدي: ليست هذه الكلمة محمولة على العام، ولكن لها مواقع يجب أن تقال فيهما، لان الزائر يستحقها ، ألاترى أنه صلوات الله عليه لا يقول ذلك لأبى بكر ولا لعلي بن أبي طالب وأشياعهما، فأما أبو هريرة فأهل ذاك، لبعض الهنات التي يلزمه أن يكون مجانباً لها، وحائداً عنها[1]

واذا فُسّرت الهنات، تطفّلهُ على موائد المسلمين واقتحامه مساكنهم، فانا نفسّر الهنات التي غفل عنها حتى «العسجدي» وغيره ، بأنّها التوجسات التي داخلت المسلمين لمجهوليته واثارت الشكوك على كل تحركاته غير البريئة، التي حاول البعض أن يفسّرها مشفوعة بسذاجته، ولا مبالاته كذلك.

---

١ - أبو هريرة، محمود أبورية: ٦٦.

غريب حقاً..مثير حقاً

واذا اثرنا مجهولية أبي هريرة، فان اثارة هنا سوف توقفنا لتطرح علينا عدة تساؤلات: هل شخصية أبي هريرة مصطنعة موضوعة ، أم هي شخصية حقيقية الا انها مجهولة؟ خصوصاً اذا اوضعنا أمامنا هذا النص المثير:

قال ابن حجر العسقلاني في تقريب التهذيب: أبو هريرة أخبر فيه مخبر هو الفضل بن عباس، أو اسامة بن زيد.[1]

فهل ستكون بعد ذلك شخصية أبي هريرة هي اسامة بن زيد أو الفضل بن عباس، ولا وجود لأبي هريرة الدوسي أصلاً وانما هو شخصية اسطورية وضعها رواة السياسة ليتمكنوا من تمرير أهدا فهم؟!

على أن ابن حجر في صدد التعريف بشخصية أبي هريرة خصوصاً قوله «أبو هريرة هو» مما يعني أن الذهبي يشير الى شخصية أبي هريرة ويعرّفها بأنه الفضل بن عباس أو اسامة بن زيد.

ويبقى التساؤل المثير حقاً: هل شخصية أبى هريرة وهمية لا وجود لها، وانما هي من صنع السياسة وتخيلات الرواة..أم ماذا؟!

١-تقريب التهذيب ٢: ٥٨٧ باب الكنى: دار المعرفة بيروت.

لم يكد يصل كعب الاحبار من اليمن التي زعم أنه أسلم فيها أيام النبي ﷺ وبث فيها الاسلام -كما يدّعي حتى وصل المدينة ابّان خلافة عمر بن الخطاب - وهو الأمر الذي يثير استغرابنا عن سبب عدم التحاق كعب بالنبي ﷺ اذا صدق اسلامه منذ عهد النبوة، وما الذي دعا كعباً أن يلتحق في عهد عمر دون غيره وهو أمرٌ مريب خصوصاً اذا ضممنا لشكنا هذا ما قاله طه حسين في وصف هذا اليهودي بقوله: كان غريب الاطوار، عرف كيف يخدع كثيراً من السلمين ومنهم عمر.[1]

مما يدعونا للتأمل كثيراً عن هذا الالتحاق المباشر من قبل حبر اليهود لخلافة عمر، ولم نبالغ فيما ذكرناه في بحث تاريخ الحديث النبوي بقولنا: ولعل ثقة الخليفة بكعب دفعته بالاسراع للنفوذ الى قيادة القرار الاسلامي لتهيئة الظروف الحرجة التي يعشيها الخليفة الثاني وسط معارضة عنيفة من النصوص، أن يتربص كعب الاحبار ليقدم نصوصه التوراتية التي «تتنبأ» بخلافة الخليفة الثاني، وستزج مثل هذه النصوص بين مطاوي مدونات التدوين، لتستقبلها الذهنية السلفية على أنها احدىٰ عناصر الحديث، وتكشفُ لنا حادثة بيت

- ابو هريرة محمود ابو رية: ١٠١.

المقدس بدايات الاختراق التي عهدتها محاولات كعب لتضمها مدونات الحديث ضمن وقائعها كشواهد تستدل على «غيبية» الخلافة الراشدة.[١]

ولا نُفاجيء بعد ذلك، اذا وجدنا حبر اليهود قد تصدّى للتحديث على الطريقة التوراتية في عهد الخليفة عمر، بل جُعلت له دسّت التحديث ليُلقي دروسه «الاسرائيلية» على مجاميع المسلمين، حتى أن أحمد أمين ذكر حادثة[٢] مروّعة حقاً حينما ينقل لنا استفحال أمر هذا اليهودي في مسجد رسول الله ﷺ محدّثاً المسلمين بتوراة قومه، فقد نقل عن طبقات ابن سعد حكاية عن رجل دخل المسجد فاذا عامر بن عبد الله بن عبد القيس جالس الى كتب، وبينها سفر من أسفار التوراة وكعب يقرأ[٣]

على أن ابن كثير يضيف معلمة أخرى تؤكد دعم عمر لكعب الاحبار الذي أسلم في زمانه خلافاً لما يدعيه هو وغيره، أنه أسلم على عهد النبي ﷺ قال ابن كثير:

لما أسلم في الدولة العمرية جعل يحدّث عمر عن كتبه قديماً فربما استمع له عمر فترخّص الناس في استماع ما عنده غثه وسمينه.[٤]

١-تاريخ الحديث النبوي بين سلطة النص ونص السلطة، للمؤلف: ٢٢٢.

٢-فجر الاسلام أحمد أمين: ١٩٨ عن طبقات ابن سعد ٧: ٧٩ عنه أبو هريرة لمحمود أبورية: ٩٩.

٣-المصدر السابق.

٤-تفسير ابن كثير ٤: ١٧ عنه أبو هريرة / محمود أبو رية: ١٠٠.

وهذا يؤكد لنا دور كعب الاحبار في بناء الدولة العمرية ودعمه لها، ودعمها له كذلك.

وقد أكدّ ابن حبّان في كتابه الثقات أنّ اسلامه كان في عهد عمر بن الخطاب وليس كما يُزعم أنه في عهد النبي ﷺ.[١]

واذا تصورنا خطر هذا الحبر اليهودي في مجمل أحداث الخلافة الثانية فماذا سيكون دور أبي هريرة مع كعب حيث يروي لنا ابن سعد في طبقاته هذه الحادثة:.

عن عبد الله بن شقيق أن أبا هريرة جاء الى كعب يسأل عنه، وكعب في القوم، فقال كعب ما تريد منه؟

فقال: أما أني لا أعرف أحداً من أصحاب رسول الله أن يكون أحفظ لحديث رسول الله مني!!

فقال كعب: أما انك لم تجد طالب شيء الا سيشبع منه يوماً من الدهر الا طالب علم، أو طالب دنيا.

فقال أبو هريرة: أنت كعب؟

فقال: نعم

فقال: لمثل هذا جئتك.[٢]

وسؤال أبي هريرة عن كعب يثير لدينا عدّة تساؤلات هي :

ما الذي يعني تجاهل أبو هريرة لكعب مع أنه سعىٰ اليه وسئل عن شخصه ؟.

١-راجع كتاب الثقات لابن حبان ٥: ٣٣٣. ٢- المصدر السابق.

وما الذي دعا أبو هريرة للبحث عن كعب ليجد فيه ضالته، وليجد كعب ضالته في أبي هريرة بعد ذلك؟

واذا كان أبو هريرة لا يعرف أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ أحفظ منه لحديثه - كما ادعاه أبو هريرة - فما الذي أحوج أبو هريرة لكعب وهو حديث عهد بالاسلام - على رواية ابن كثير الآنفة - ؟

كل هذه التساؤلات تثير لدينا شكوكاً حول علاقة أبي هريرة، بكعب واجتماعهما، واتفاقهما، وتحديث أحدهما عن الآخر؟!

انه أمرٌ مثيرٌ...!!

أبو هريرة وكعب الأحبار..
لقاء الطور والسر المكنون

على أن المفاجأة التي تثير الباحث استغراباً وتحيّراً هو لقاء الطور الذي تم بين أبي هريرة وكعب الاحبار، فخروج أبو هريرة الى طور الشام ولقائه بكعب، يثير تساؤلات خطيرة:

ما الذي اخرج أبو هريرة الى الطور للقاء كعب ؟

وما الذي أخرج كعباً الى هناك؟

ومع أي جهة كان كعب يلتقي في هذا الخفاء؟!

وهل كان الطور مكاناً لتلقي أبو هريرة علوم التوراة على يد كعب وغيره؟!

روى النسائي عن أبي هريرة قال:

أتيت الطور فوجدت ثَمّ كعباً، فمكثت أنا وهو يوماً أحدثه عن رسول الله ﷺ ويحدثني عن التوراة.[1]

وروى مالك في حديث أبي هريرة قال:

خرجت الى الطور تلقيت كعب الاحبار، فجلست معه، فحدثني

١-سنن النسائي كتاب الجمعة حديث ١٤١٣ عن كتاب أكثر ابو هريرة للدكتور مصطفى بوهندي المغربي

عن التوراة، وحدّثته عن النبي ﷺ.[١]

فما الذي دعى كعباً أن يمكث في صحراء طور الشام القاحلة؟

وما هي علاقة كعب الحميري اليماني بطور الشام الذي هو مكان تراث بني اسرائيل وملاحمهم؟!

هل ثمّة علاقة بين مهمة كعب وهذا الطور؟!

هل ثمّة طقوس يمارسها كعب ويشاركه في ذلك أبو هريرة؟!

وهل للطور علاقة فيما يلقيه كعب لأبي هريرة من توراة؟

فقصة الطور ومؤتمره لا يزال لغزاً محيراً في شخصية أبي هريرة ومهمة كعب اليهودية...

فمتى تُحل اذن؟!

١- كتاب النداء للصلاة حديث ٢٢٢ عن نفس المصدر.

الثالوث اليماني المجهول..

واذا كان أبو هريرة ذلك اليماني القادم من المجهول قد أثار توجسات المسلمين، فان تتابع اليهود من اليمن ابّان خلافة عمر ونزولهم على معاوية بن أبي سفيان، يثير قلقاً آخر لدينا.

فكعب الاحبار التابعي، استاذ أبي هريرة الصحابي، وهذا من عجيب ما حدث في تاريخ حقبتي الصحابة والتابعين، وهذا غير رواية الصحابي عن التابعي، أو الكبار عن الصغار كما هو متعارف عندهم، لذا أشار الى ذلك السيوطي في ألفيته:

وقد روىٰ الكبار عن صغارٍ ... في السن أو في العلم والمقدار

ومنه أخذ الصحب من أتباع ... وتابع عن تابع الاتباع

لحبر عن كعب وكالزهري ... عن مالك ويحيىٰ الانصاري[1]

فرواية الكبار عن الصغار أمر قد تعارف لدى الرواة، أما تلمذة الكبار على الصغار أي الصحابة على التابعين فأمر غير معهود، الا ما ارتكبه أبو هريرة الصحابي حين تتلمذ على كعب الحبر التابعي، وقد سمعت الرواية التي جاء فيها: أن أبا هريرة كان يبحث عن كعب فهداه «حرصه على العلم» كما جاء في الرواية - اننى جئتك لأطلب عندك العلم - فأى علم هذا وكعب لم يتفقه بعد ولم يتعلم من تعاليم

١-شيخ المضيرة أبو هريرة / محمود أبورية: ٩٩.

الاسلام بعد؟ وقرينة الحال تهدينا الى ذلك ، فعدم معرفة أبي هريرة لكعب هذا؛ دليل على أن قدوم كعب كان جديداً فلم يعرفه أبو هريرة الذي عُرف باقتحامه بيوت المسلمين وتجمعاتهم ولازم ذلك معرفة كل ما يدور في انحاء المدينة وأرجاء المسلمين، ومعرفة من حل فيها ومن وَفَدَ عليها، خصوصاً مثل كعب لايخفى أمره وهو الحبر اليهودي الذي أسلم ، مما يدل على أن كعباً قد قدم تواً الى المدينة وأبدى أبو هريرة حرصه على معرفته وملازمته، فأي علم يطلبه أبو هريرة من كعب الذي لم يزل جديد عهد بشريعة الاسلام؟ سوىٰ اسرائيليات كعب التي أقحمها أبو هريرة ضمن المنظومة الحديثية بعد ذلك، وخُيّل انها أحاديث نبوية صحيحة.

هذا الثنائي المريب لم يقف عند حد «التعاون» على بث الروايات التوراتية، بل هو سيتعدى الى مهمة أكبر وقضية أخطر، فهو يتدخل في «ترسيم» الخلافة «الاسلامية»التي يتزعمها معاوية بن أبى سفيان كما ستوضحه البحوث القادمة ان شاء الله تعالى.

لم يكن هذا الثنائي يكملُ مهمته حتى أستدعي ثالوث هذا التحالف اليماني، الذي يبدو متوقعاً لاستدعائه في فترة ترتيب سياسي حرجة، فكعب هذا «قائد التحالف اليهودي» يستدعي «ذا قربات» من اليمن لينضم الى فريق عمل تنظيري سياسي، عندما أشار على معاوية أن يلتحق «ذو قربات» الى الشام، فلنرى كيف وصل ذو قربات اليهودي الى الحاضرة الأموية ليلتحق بكعب،

حسب رواية ابن حجر العسقلاني:

روى عن مسند الروياني عن طريق سعيد بن عبد الرحمن بن نافع أنه سمع أباه يذكر أن معاوية قال لكعب:

دلّني على أعلم الناس، قال: ما أعلمه الا ذا قربات وهو باليمن، فبعث اليه معاوية وهو بالغوطة، فتلقاه كعب فوضع رأسه له، ووضع الآخر له رأسه، فذكر قصة طويلة وفي ضمنها انه كان يهودياً.[١]

على أن ابن حجر يؤكّد في الاصابة أن ذا قربات لم يسلم حتى بعد وصوله الى معاوية، الا أن ابن حجر يورد خبراً خطيراً حول «نبوءة» ذي قربات في ترتيب الخلافة الاسلامية، فهو يصرّح أن بعد النبي ﷺ سيتولى الخلافة أبو بكر، وبعده عمر، وبعده عثمان، وبعده معاوية، مستبعداً بذلك علياً الذي أقرّته مدارس التحديث «السلفية» أنه الخليفة الرابع، وهذه هي «نبوءة» ذى قربات الخطيرة:

روى البغوي من طريق عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي عن سعيد بن عبد العزيز عن ذي قربات قال: لما توفي رسول الله ﷺ قيل: ياذا قربات من بعده قال: الامين يعني أبا بكر، قيل فمن بعده قال: قرن من حديد يعنى عمر قيل: فمن بعده قال: الأزهر يعنى عثمان قيل: فمن بعده قال: الوضاح المنصور يعنى معاوية.[٢]

فاذا كان ذو قربات لم يسلم فما معنى نبوءته في الخلافة

١- الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ١: ٤٨٧.

٢- نفس المصدر.

الاسلامية؟

وماذا يعني هذا الترتيب لدى ذي قربات ودوائره اليهودية؟

سؤال يثير الحيرة حقاً والتوجس كذلك.

فهل كانت أمنية اليهود هذا الترتيب والحرص على استبعاد علياً عن الخلافة؟ وهل تعني محاولات اقصاء علي عن الخلافة ، محاولات خارج حدود القرار الاسلامي؟

أي هل كانت السقيفة موضع تنفيذ قرار غير اسلامي في انتقال الخلافة الى غير علي؟وهل كانت الحروب التي أحدثها معارضوا علي ابّان خلافته حروب معارضات سياسية، أم هي حروب تنطلق من فلسفة ابعاد علي عن الخلافة منذ أول يوم عُقدت فيها السقيفة، وبقرار ينطلق من ترتيب كعب الاحبار وذي قربات وأبي هريرة لتُنقل الخلافة الاسلامية الى حاضرة الأمويين كما فعلوها ابّان خلافة الحسن بن علي عليهما السلام؟

سؤال تبقى اجاباته مختفية تحت ركام الاحداث المثقلة بقرارات المجمع الكهنوتي الذي بعث بأبي هريرة ، وكعباً، وذا قربات ، ليقتحموا القرار الاسلامي على حين غفلة من الزمن الغادر.

«الثالوث المجهول» في تأسيس دولة

لم تقتصر مهمة «الثالوث المجهول» أبو هريرة ، وذي قربات ، وكعب الاحبار على رواية الحديث فحسب، بقدر ما كانت مهمة تأسيسية لكيان سياسي خطير.

فالدولة الاموية التي أسست وسط الكيان الاسلامي ابّان عهد الامام علي عليه السلام كانت بادرة سيئة، فهى فضلا عن مخالفتها الشرعية للخليفة الشرعي، فان تأسيس نظام داخل نظام يُعد مخالفة قانونية على مستوى التنظيم القانونى والإداري كذلك ، وظاهرة مخالفة للتنمية الادارية والقانونية، التي يشهدها المجتمع الاسلامي الفتي بكل توجهاته وتمدّنه.

الا ان هذه المخالفات لم تنشأ هكذا اعتباطاً دونما هناك تحضيرات محسوبة وترتيبات تنظيرية مكتومة، الى حين وقتها.

والسؤال الذي يراودنا جميعاً هو:

ما الذي حدىٰ الى قيام دولة داخل دولة ابّان عهد علي بن أبي طالب الخليفة الشرعي، ولم يظهر ابّان عهود الذين سبقوه؟

وللاجابة على ذلك، لا بد من معرفة الجهود المبذولة لتأسيس مثل هذا النظام، ومتابعة جهود رجال التنظير، ونقصد من رجال التنظير أولئك الذين حاولوا بذل ما في وسعهم لاضفاء الشرعية على

الدولة الاموية.

فقد عرفنا ما كانت من مهمة ذي قربات حين استدعاه كعب الاحبار لحضور «مراسم» تأسيس الدولة الاموية، وسمعنا نبوءة ذى قربات في تسلسل الخلافة الاسلامية بعد رحيل النبي ﷺ، على أن ذا قربات هذا سيختفي فوراً بعد وصوله معاوية بن أبي سفيان، ولا نعلم بمصيره وتحركاته الخفية المجهولة التي سترتها جدران قصر الخضراء في دمشق، فهو سيدخل القصر بعيداً عن الاضواء، وسيعمل في تنضيج قرارات التنظير للشرعية الاموية، وسبب اختفائه أمر طبيعي، فهو يهودي لم يسلم كما صرّح بذلك ابن حجر في الاصابة قال بعد وروده قصة اسلام كعب حين لقائه بذي قربات فقال له ، لئن كان نبياً انه الآن لتحت التراب، قال كعب: فاذا أنا براكب فقال مات محمد..قال ابن حجر: والقصة التي قبلها تشعر أيضاً بأنه لم يسلم.[1]

وعدم اسلامه أمر لا يتيح لمعاوية اظهاره منظّراً وهو يهودي، لذا فقد اغلق ذو قربات عليه أبواب القصر ليجلس متربصاً في ترسيم قرارات التنظير «للشرعية الاموية» لتصاغ على أساس نبؤات توراتية يتكفلها كعب الاحبار، وأحاديث ملاحم وفتن، يلقيها أبو هريرة، تأييداً للشرعية الاموية المفتعلة.

١- الاصابة: ٤٨٧.

وهي نبوءات توراتية بثها كعب بتشجيع من الخليفة عمر بن الخطاب، فقد أتى كعب بكتبه اليهودية وبثها بين أوساط المسلمين، واختلطت هذه الاسرائيليات بالاحاديث النبوية، فحسب الناس أنها أحاديث نبوية، وقد اعترف بذلك ابن كثير في تفسيره بقوله، بعد ذكره قصصا عن انبياء الله اسحق ويعقوب وابراهيم واسماعيل قال: وهذه الاقوال والله اعلم، كلها مأخوذة عن كعب الاحبار، فانه كما أسلم في الدولة العمرية جعل يحدّث عمر رضي عنه عن كتبه قديماً قربما استمع له عمر فترخص الناس في استماع ما عنده عنه غثها وسمينها وليس لهذه الامة والله أعلم، حاجة الى حرف مما عنده...[1]

لذا فان كعباً هذا منح لقباً رسمياً فعرف «بالحبر»، ورُخّص له رسمياً بالتحديث عن التوراة، حتى خلطوا ما سمعوه من التوراة بالحديث، وهي ظاهرة مخيفة ومرعبة حقاً،بعدما عرفنا أن جهد اليهود حقق نتائجه مبكراً على يد الخلافة الاسلامية ابّان عهد عمر بن الخطاب، الذي أباح لكعب بالتحديث التوراتي معززاً «بمشروعية» معاوية بن أبي سفيان التي أسبغها على أحاديث كعب، لتكون أحاديثه هذه ملاحم يستشهد بها معاوية على شرعية تمرده

١- تفسير ابن كثير ٤: ١٨.

على الخليفة الامام، ولتجد حروبه ونزاعاته مع الامام علي عليه السلام «شرعيتها» المستوحاة من توراة كعب.

هذه الظاهرة التوراتية التي عمت الاجواء الاسلامية لم تكن مسألة عابرة في تحديث توراتي من حبر يهودي، بقدر ما هي تجربة مريرة أُريد من خلالها اسقاط الخلافة الاسلامية، وتحويلها الى ملك أموي عضوض، وبالفعل تحققت رغبات أولئك اليهود، الذين يتربصون في الخفاء ليمثلهم كعب الاحبار، وأبو هريرة وذو قربات، كل حسب جهده ومهمته، واليك نماذج من هذه النبؤات:

١ - الشام كنانة الله

قال كعب: قرأت فيما أنزل الله على الانبياء، أن الله تعالى يقول: الشام كنانتي، فاذا غضبت على قوم رميتهم منها بسهم[١]

ومعلوم انها اشارة يهودية الى اسباغ شرعية حروب صفين والتي نازع فيها معاوية علياً الامام الشرعي، وكون ذلك لا يُعد خروجاً على طاعة الامام، بل هو أمر سلطةُ الله على من غضب عليهم، وهو علي وأصحابه، وبذلك حاول كعب أن يُسبغ الشرعية على تمرّد معاويه وكونه أمراً مشروعاً.

٢ - أهل الشام من سيوف الله

قال كعب: أهل الشام سيف من سيوف الله ينتقم الله ممن عصاه في أرضه.[٢]

---

١ - تاريخ دمشق لابن عساكر: ٦٠. ٢ - المصدر السابق.

وهو نفس الحديث السابق في مقصوده.

٣ - أهل دمشق يُعرفون في الجنة بثياب خضر:

قال عروة بن رديم: أن رجلا لقي كعب الاحبار، فسلم عليه ودعا له. فسأله كعب ممن هو، فقال: من أهل الشام، قال: لعلك من الجند الذين يدخلون الجنة منهم سبعون الفاً بغير حساب ولا عذاب، قال: ومن هم، قال أهل دمشق، فقال: لست منهم، قال: فلعلك من الجند الذين ينظر الله اليهم في كل يوم مرتين، قال: ومن هم قال: أهل فلسطين، قال: أنا منهم، و في لفظ قال: لعلك من الجند الذين يشفع شهيدهم بسبعين قال: ومن هم، قال: أهل حمص قال: لا، قال: لعلك من الذين يعرفون في الجنة بثياب خضر، قال: من هم: قال: أهل دمشق.[١]

٤ - مُلك النبي ﷺ في الشام:

عن ابن عباس انه سأل كعب الاحبار كيف تجد نعت رسول الله ﷺ في التوراة قال نجده محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره الى طابة ويكون ملكه بالشام.[٢]

ولابن خلدون تفسيرا في شيوع هذه الاسرائيليات نوردها كما في مقدمته قال:

السببُ في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وانما غلبت عليهم البداوة والأميّة، واذا تشوّقوا الى معرفة شيء مما

١-تاريخ دمشق ١: ٥٨.
٢-هداية الحيارى لابن تيمية ٩٨.

تتشوق اليه النفوس البشرية، في اسباب المكونات وبدء الخليقة، وأسرار الوجود، فانما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم، ويستفيدونه منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى. وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم، ولا يعرفون من ذلك الا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلّق له بالاحكام الشرعية التي لها، مثل أخبار بدء الخليقة، وما يرجع الى الحدثان، والملاحم، وأمثال ذلك، وهؤلاء مثل كعب الاحبار،ووهب بن منبه، وعبد الله بن سلام وأمثالهم، فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم في أمثال هذه الاغراض، أخبار موقوفة عليهم، وليست مما يرجع الى الاحكام فيتحرى في الصحة التي يجب بها العمل. وتساهل المفسرون في مثل ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات.

وأصلها كما قلناه عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية، ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك، الا أنهم بعُدَ صيتهم وعظمت أقدارهم، لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة، ولقيت بالقبول من يومئذ[1]

١- تاريخ ابن خلدون: ٥٥٤.ومعلوم انّ القبول الذي يشير اليه ابن خلدون ،ليس القبول الواقعي الذي يحرزه هؤلاء اليهود في التزامهم الديني ،وانما هو قبول أعراب البادية الذين ينبهرون بغيرهم لسذاجتهم، فهي حالة انبهار ساذج وليس حالة قبول حقيقي.

واذا أوعز ابن خلدون ذلك الى سذاجة المجتمع البدوي في تلقيه لهذه الاسرائيليات، فاننا نوعز ذلك الى خطة النظام الاموى الذي أقحم اسرائيليات كعب وأمثاله في مدونات الحديث، حتى حظيت بقبول الانظمة السياسية المناوئة لآل البيت عليهم السلام، ولقنّوا أتباعهم على مثل هذا النمط من السلوك والسذاجة في التفكير.

كعب الاحبار والتجسيم اليهودي

واذا أردنا أن نمعن في قراءة جهود كعب اليهودية، فان محاولاته العقائدية تركت بصماتها على الاعتقاد السلفي حتى نحىٰ مناحٍ مختلفة.

فروايات كعب التجسيمية تُعد باكورة التوجهات التجسيمية لدىٰ مدارس السلف، ومن نماذج تجسيم كعب:

١ - روى الحاكم في مستدركه عن كعب الاحبار: ان الله عز وجل قسّم رؤيته وكلامه بين محمد ﷺ وموسى، فرآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين [١].

٢ - عن كعب الاحبار مرفوعاً الى النبي ﷺ انهم يرونه [اي الله سبحانه عما يصفون] في كل عيد [٢]

أي أن أهل الجنة يرون ربهم في كل عيد.

ولم يكد كعب الاحبار يزيدُ في تجسيماته حتى يلقيها على لسان «تلميذه» النابه أبي هريرة، فان تجسيمات أبي هريرة فاقت حد الاحصاء، وستقرأ من رواياته التجسيمية ما يهولك سماعها.

---

١ - تاريخ ابن خلدون : ٥٥٤.ومعلوم انّ القبول الذي يشير اليه ابن خلدون ،ليس القبول الواقعي الذي يحرزه هؤلاء اليهود في التزامهم الديني ،وانما هو قبول أعراب البادية الذين ينبهرون بغيرهم لسذاجتهم، فهي حالة انبهار ساذج وليس حالة قبول حقيقي.

٢-المستدرك على الصحيحين للحاكم كتاب تواريخ الانبياء باب ذكر موسى عليه السلام ٢ ك ٦٢٩.

وتخلّي كعب عن تجسيماته خطوة ذكية، فهو كونه يهودي أسلم تواً، فان رواياته التجسيمية ستلقى ظلالاً من الشكوك، وسيكون تلقيها من قبل المسلمين غير مقبول، فان سمة اليهودية على تجسيماته تبدو غير مشجّعة للتعاطي معها من قبل المسلمين، لذا فهو ألقى تجسيماته على لسان تلميذه النابه أبي هريرة، الذي ملأ المدونات الحديثية بتجسيمات اليهود.

والدليل على ذلك فان العرب قبل اسلامها لم تعهد الفكر التجسيمي، ولم يتعارف التجسيم في حواضر الجزيرة، وقد أقر ذلك الشهرستاني بقوله بعد رواياته في التجسيم:

..الى غير ذلك أجروها على ما يتعارف في صفات الاجسام وزادوا في الاخبار اكاذيب، وصفوها ونسبوها الى النبي ﷺ وأكثرها مقتبسة من اليهود، فان التشبيه فيهم طباع، حتى قالوا اشتكت عيناه فعادته الملائكة، وبكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه، وان العرش ليئط من تحته كأطيط الرجل الجديد، وانه ليفضل من كل جانب أربعة أصابع[1].

نعم لعله عُهد في اليمن للتواجد اليهودي هناك، فالتجسيم بضاعة يهودية صدّرها كعب الاحبار وذو قربات الى البلاد الاسلامية، وكان أبو هريرة قد تصدّى لعرض هذه البضاعة اليهودية فنجح في اقحامها ضمن الحديث النبوي.

١-الملل والنحل للشهرستاني ١: ٩٥.

واذا توقف كعب عن روايات التجسيم، فان في أبى هريرة سعةً من تبني مدرسة كعب اليهودية في التجسيم، وبث رواياته التوراتية، فهو تلميذه المعتمد الذي بامكانه أن يقرر آرائه ويتبنى توجهاته، فضلاً عن كون أبي هريرة «مشروعاً» لتصنيع الحديث واختلاقه دون أي حرج يجده أبو هريرة في حمل هذه الاحاديث وبثها، مدّعياً بذلك صلاحيته لـ «خصوصيته» برسول الله ﷺ وصحبته له.

روايات التجسيم:

١ - رؤية الله وضحكه من رجل خادع الله فدخل الجنة «سبحان الله عما يصفون»:

روى البخاري عن أبي هريرة: أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة، فقال رسول الله ﷺ: هل تُضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله قال: فانكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبدُ شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبدُ الشمس، الشمس، ويتبعُ من كان يعبد القمر،القمر، ويتبع من كان يعبدُ الطواغيت، الطواغيتَ، وتبقىٰ هذه الامة فيها شافعوها، أو منافقوها، شك ابراهيم (ابراهيم بن سعد راوي الحديث)، فيأتيهم

الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فاذاجاءنا ربنا عرفناه، فيأتيهم انه في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون أنت ربُنا فيتبعونه، ويضربُ الصراط بين ظهرى جهنم، فأكون أنا وأمتى اول من يجيزها ولا يتكلم يومئذ الرسل، ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلّم سلّم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟ قالوا نعم يا رسول الله، قال: فانه مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلمُ ما قدر عظيمها الا الله تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بقى بعمله أو الموثَق بعمله، ومنهم المخردل أو المجازي أو نحوه، ثم يتجلّى، حتى اذا فرغ الله من القضاء بين العباد، وأراد أن يُخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يُخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد الله أن يرحمه، ممن يشهد أن لا إله الاّ الله فيعر فونهم في النار بأثر السجود تأكل النار ابن آدم الاّ أثر السجود، حرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا، فيصبُ عليهم ماء الحياة فينبتون تحته، كما تنبت الحبة في حميل السيل، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولاً الجنة، فيقول أي ربّ اصرف وجهي عن النار فانه قد قشبني ريُحها وأحرقني ذكاؤها، فيدعو الله بما شاء ان يدعوه، ثم يقول الله هل عسيت ان اعطيت ذلك أن تسألنى غيرهُ، فيقول لا وعزتك لا أسالك غيره، ويعطى ربه من عهود ومواثيق ما شاء فيصرف الله وجههُ عن

النارُ، فاذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول أي ربِّ قدّمني الى باب الجنة، فيقول الله له ألست قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسألني غير الذي اعطيت أبداً ويلك يا ابن آدم ما أغدرك، فيقول: أي رب، ويدعوا الله حتى يقول: هل عسيت ان اعطيت ذلك أن تسألَ غيرهُ، فيقول لا وعزتك لا أسالك غيرهُ، ويُعطى ما شاء من عهود ومواثيق فيقدمه الى باب الجنة، فاذا قام الى باب الجنة انفقهت له الجنة، فرأى ما فيها من الحبرة والسرور، فيسكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي ربِّ أدخلني الجنة، فيقول الله ألستَ قد أعطيتَ عهودك ومواثيقك أن لا تسألَ غير ما أعطيتَ، فيقول: ويلك يا ابن آدم ما أغدرك، فيقول: أي رب لا أكونَنَّ أشقى خلقِكَ، فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه، فاذا ضحك منه قال له ادخل الجنة فاذا دخلها قال الله له تمنه، فسأل ربه وتمنى، حتى ان الله ليُذكّرهُ يقول: كذا وكذا، حتى انقطعت به الأماني، قال انه ذلك لك ومثله معه، قال عطاء بن يزيد وأبو سعيد الخدري، مع أبي هريرة لا يُرد عليه من حديثه شيئاً حتى اذا حدّث أبو هريرة، أن الله تبارك وتعالى قال: ذلك لك ومثله معه، قال أبو سعيد الخدري وعشرة أمثاله معه، قال أبو سيعد الخدري: أشهد أني حفظتُ: من رسول اللهﷺ قوله: ذلك لك وعشرةُ أمثاله قال أبو هريرة: فذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا الجنة.[1]

١- صحيح البخاري كتاب التوحيد باب رؤية الله ٩: ١٥٧.

والرواية لا تحتاج الى تعليق، بعد أن نسب أبو هريرة الجهل الى الله – سبحان الله عما يصفون – حين روى مخادعة هذا الانسان الى الله – والعياذ بالله – ومحاولته الخروج من النار، ودخوله الجنة، بمكره وخديعته..

على أن أبا هريرة حاول اقحام غيره في الرواية، فنسب الى أبي سعيد الخدري سماعها كذلك، دفعاً لمن يعترضه على هذا المنحنى التجسيمي الخطير.

٢ – كيف يضع الله قدمه في النار؟!

روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: اختصمت الجنة والنار الى ربهما، فقالت الجنةُ يا رب ما لها لا يدخلها الا ضعفاء الناس وسقطهم، وقالت النار يعني أوثرتُ بالمتكبرين، فقال الله تعالى للجنة أنت رحمتي، وقال للنار: أنت عذابي، أصيب بكِ من اشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها، قال: فأما الجنة فان الله لا يظلم من خلقه أحداً، وانه ينشىء للنار من يشاء فيُلقون فيها فتقول: هل من مزيد ثلاثاً: حتى يضع فيها قدمه فتملىءُ ويردُ بعضها الى بعض، وتقول: قط قط قط[١]

٣ – نزول الرب الى السماء الدنيا:

وروى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر

١ – المصدر السابق ٩: ١٦٤.

فيقول من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له.[١]

٤ - بماذا يختصم الملأ ألاعلى؟!

روى الدارقطني عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ رأيت ربي عزوجل في أحسن صورة فقال لي: يا محمد، قلت: لبيك وسعديك قال: هل تدري فيم يختصم الملأ الاعلى؟ قلت: لايارب فوضع يده بين كتفي وجدت بردها بين ثديي، فعلمت الذي سألني عنه.[٢]

وهي اشارة الى أن التخاصم لدى الملأ الاعلى هو في رؤيته تعالى - سبحان الله عما يصفون - والرواية أرادت أن تثبت مشروعية الخصام في رؤيته تعالى وكونها حق، كماهم الملا الاعلى يختصمون في امكانية رؤيته، وعدمها.

ما هي دوافع التجسيم اذن؟!

الملاحظ على نزعة أبي هريرة وكعب الاحبار ومن على شالكتهما، الامعان في روايات التجسيم والتركيز على هذا الجانب بشكل يثير التساؤل التالي :

ما الذي دفع كعب الاحبار وأبا هريرة للتأكيد على هذا المنحى

١-المصدر السابق ٩: ١٧٥.

٢-رؤية الله، للحافظ الدار قطني: ١٨٢ مكتبة القرآن القاهرة.

من التفكير واشاعته بين الناس وما الذي يدعو الدولة الاموية الى التدين بهذا المنهج التجسيمي خصوصاً والاسلام حديث عهد بهؤلاء العرب الذين وحدوا الله وعظّموا صفاته، ونزّهوه عن كل ما يشين بربوبيته ويخدش في وحدانيته، وآمن الناس بصفاته تعالى، وهم مصدّقون بما جاء به محمد ﷺ من تنزيه صفاته تعالى وتوحيده بما هو أهله.

وجد اليهود أن في دين محمد ﷺ تهديداً حقيقياً لكيانهم، وخطراً يحدق بوجودهم، ولا مناص عن تفريق كلمتهم، وتشتيت أمرهم بأن يلقوا اليهم فلسفة تناسب أهوائهم ، ومقالةً تحاكي ضميرهم المكنون فيه وثنية أربابهم ، وعبادة أصنامهم ، ووجدوا أن أقرب أمر يتعاطف مع رغباتهم هي مقالة التجسيم ومذهب التشبيه، فان ذلك يتناسب ونزعتهم الوثنية في أن يصوروا لهم رباً مجسّماً يتناغم وما ورثوه من بيئتهم الوثنية هذه، وراح رواة التجسيم كأبي هريرة وكعب الاحبار، يشيعون هذه المقالة، وينحون منحى التشبيه، فصدّقهم بعض هؤلاء، وآمنوا بما رووه أولئك ، وكان لمعاوية بن أبي سفيان دورٌ في تشييد مثل هذه المقالات التجسيمية لينحاز إليه الكثير ممّن بقي في دواخلهم وثنية الجاهلية، فانّ هؤلاء يطمحون الى تصوير ربهم كما كانوا يصوّرون أوثانهم، ويشبّهون خالقهم بصفات المخلوق ، فانّ في ذلك توافقاً مع رغباتهم الوثنية، ودخائلهم التجسيمية، ولمثل هذه المقالات أثرها في كسب ابن أبى

سفيان غوغاء الناس وسذّج الامة، فاتبعوه مصدّقين مما يرويه أبو هريرة وأمثاله، وهي احدى محاولات الامويين قبالة معارضتهم العلوية التي تدعو الى نفي التجسيم وتنزيه الذات عن كل ما يشين.

من هنا فلا يمكننا أن نُلغي دافع السياسة في تأكيد مثل هذه المقالات التجسيمية ليتعاطف معها ممن بقيت نزعة الوثنية في دواخلهم، وفي معرض تعليقنا على ما كانت تستهدفه الحركة اليهودية في اشاعة مقالات التجسيم قلنا: أن تخلق مستوى سطحياً من التفكير لتؤسس طبقة ساذجة كي يسهل قيادها ومن ثم انقيادها لأيّة خطة يهودية مدبّرة على حساب الاسلام ومبادئه هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى استغلت خرافة التشبيه لتمرير اغراض سياسية مقيتة ؟[١]

وهو ما حدث فعلا حينما انقاد رعاع الناس وهمجهم الى نصرة آل أبي سفيان على حساب الشرعية الالهية المتمثّلة بالامام علي بن أبي طالب عليه السلام.

١- راجع تاريخ الحديث النبوي بين سلطة النص ونص السلطة للمؤلف ٢٣٧.

الانفتاح الروائي في عهد معاوية
الاسباب والدوافع

عُرفت روايات التجسيم بشيوعها في عهد معاوية بن أبي سفيان يوم فتح باب التحديث على مصراعيه، ليجد أبو هريرة وغيره متسعاً من فسحة التحديث بعد أن مُنع ابّان عهود ابى بكر وعمر وعثمان، ورفع الحظر عنه في عهد معاوية بن أبي سفيان، الا أن الانفتاح كان بشكل سلبي، أتاح لكثير من التوجهات السياسية، والدينية الأخرى أن تقحم «رغباتها» في الحديث النبوي، لتصيغه على شكل حديث يتداوله الناس.

كان عهد الثلاثة عهد حظرٍ على الحديث النبوي، فلا يُسمح لرواته بالحديث، الا بعد عهد عثمان.

عن زياد بن ميناء قال: كان ابن عباس، وابن عمر، وابو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وجابر بن عبد الله، ورافع بن خديج، وسلمة بن الاكوع، وأبو واقد الليثي وعبد الله بن بحينة مع أشباه لهم من أصحاب رسول الله ﷺ يفتون بالمدينة، ويحدِّثون عن رسول الله ﷺ من لدن توفي عثمان الى أن توفوا، والذين صارت اليهم الفتوى منهم ابن عباس، وابن عمر، وأبو سعيد

الخدري،وأبو هريرة وجابر بن عبد الله.[١]

ومعنى ذلك أن الرواة قد حُبس الحديث في صدورهم، كما حبسوا هم عن الخروج من المدينة، ابّان عهد عمر بن الخطاب.

عن سعيد بن ابراهيم عن أبيه: أن عمر بن الخطاب قال لابن مسعود ولابي الدرداء ولأبي ذر، ما هذا الحديث عن رسول الله ﷺ وأحسبه حبسهم حتى أصيب..[٢]

واذا كان هذا النص يوقفنا على حبس عمر لرواة الحديث، فاننا لا نستطيع أن نجزم بحبس جميعهم، فالعيّنة التي اختارها عمر في حبس هؤلاء الرواة أمر خطير، فهي تشكيلة تحمل معها توجهاتها، فهؤلاء الرواة عرفوا في عهد عمر بروايتهم نصوص الفضائل لعلي بن أبي طالب عليه السلام، ومع هذا التوجه فان سياسة الدولة العمرية لا تستقيم، اذ تعنى أحاديث النصوص والفضائل لعلي على أحقيته لخلافة رسول الله ﷺ، ويلازم ذلك سلب شرعية الخلافة العمرية، وهو أمر لا يمكن قبوله من قبل الخليفة، أما أبو هريرة وأمثاله فلم يشملهم قرار الحبس هذا، فهم يقيمون الآن في دارة الخلافة القادمة، وهي شام معاوية الذي نشط أيام عهد عمر، وكان لعمر في معاوية نظرته الخاصة، بل كان معاوية يمثّل طموحات عمر المستقبلية، فهو ينوه عنه في كل حين ويرى فيه صاحب الامبراطورية التي من شأنها

١-الطبقات الكبرى لابن سعد ٢: ٣١ في ترجمة عبد الله بن عباس.
٢-المستدرك على الصحيحين للحاكم ١: ١٩٣.

ان تقصي آل البيت عليهم السلام، ولعله كان يراهن على معاوية في «ديمومة» فلسفته في الحكم، وهي الغاء دور علي وآله عليهم السلام ليكونوا رعايا مستضعفين مسلوبي الحق، لا يتسنى لهم المشاركة في ادارة البلاد الاسلامية، وهو ما حدث فعلاً حينما بدأ معاوية صراعه مع علي عليه السلام وخروجه عن طاعته، وتمرّده عليه، بل الانكى من ذلك، أن لايكتفي معاوية في تمرده هذا على عترة النبي صلى الله عليه وآله حتى انتزع الخلافة الاسلامية من الامام الحسن بن علي عليهما السلام، انتزاعاً دفع ثمنه المسلمون حتى هذا اليوم.

أجل، كانت لعمر في معاوية نظرته الخاصة ومن ثم رعايته كذلك.

روى ابن حجر في الاصابة قال: كان عمر اذا نظر الى معاوية، قال: هذا كسرى العرب.[1]

فما معنى أن يقر عمر لمعاوية أُبّهتهُ وتسلطه؛ بل بذخه؟!

وجدير بالخليفة أن يعترض على معاوية في ابهته الكسروية هذه، وقد عُرف من عمر زهده كما يزعمون؟!

ولم يكن عمر بن الخطاب غافلاً عما يحدثه معاوية من أُبّهة الملك، والبذخ الذي ارتكبه وهو في عهد خلافته.

فعن أسلم مولى عمر قال: قدم علينا معاوية وهو أبض[2] الناس وأجملهم، فخرج الى الحج مع عمر بن الخطاب، وكان عمر ينظر اليه فيتعجب منه، ثم يضع اصبعه على جبينه ثم يرفعها عن مثل الشراك، فيقول: بخ بخ اذن نحن خير الناس، أن جمع لنا خير الدنيا والآخرة، فقال معاوية: يا أمير المؤمنين سأحدّثك، أنا بأرض الحمامات والريف، فقال عمر: سأحدثك ما بك الطابك نفسك بأطيب الطعام، وتصبحك حتى تضرب الشمس متنيك وذوو

١-الاصابة في معرفة الصحابة ٣: ٤٣٤.

٢-هو الابيض مع حمرة وهي حالة رقة الجلد وترفه.

الحاجات وراء الباب.[١]

واذا كان عمر قد علِمَ ما يرتكبه معاوية من الترف وطيب العيش، فكيف يقر له هذا، وقد عُرف عن عمر زهده؟

وهذا يعني أن لعمر في معاوية طموحاً سيحققه هو فيما بعد، وسيعدُّ عمر معاوية لمرحلة مستقبلية حاسمة، يكون بها جديراً في اغتصاب الخلافة ليجعلها ملكاً أموياً كسروياً، ملغياً معه دور أهل البيت عليهم السلام.

هذا ما يمكننا تفسير رعاية عمر لمعاوية، الذي أعد نفسه بعد مقتل عثمان ليعلن استقلاله ويجعلها ملكاً أموياً خالصاً، ملتهماً بذلك جميع البلدان الاسلامية، بُعيد تصفية خصمه القوي الامام الحسن بن علي عليهما السلام، ليخلو له الجو بعيداً عن المناورات التي كان يرتكبها مع خصومه من أهل البيت عليهم السلام، ولينقل الملك الى ولده يزيد، الذي لم يقره على ذلك المسلمون جميعاً، عدا أهل المصالح الذين يكيدون للاسلام ويتربصون به كل غائلة.

من هنا أمكننا أن نتعرف على «مراحل التحظير» التي أعدت معها معاوية معارضاً لعلي ولآل علي عليهم السلام، وفي الوقت نفسه ستتعرف على مدى الجهود المبذولة لاعداد «لائحة» نظام الحكم الاموي، وما يصاحب ذلك من محاولات تنظيرية لتهيئة مرحلة التأسيس هذه، متطلبة معها ضم عناصر «روائية» تصيغ «مدونات حديث» تساهم في نشوء هذا الملك الاموي الجديد.

١-الاصابة في تمييز الصحابة ٣: ٤٣٤.

الاعداد لمرحلة التحضير السياسي

أي سيكون معاوية بن أبي سفيان عاملاً على اعداد فريق روائي، يقوم بمهمة التنظير «الشرعية» الامبراطورية الكسروية، التي يراها عمر بن الخطاب في معاوية بن أبي سفيان وقد لقّبهُ بـ «كسرى العرب»، لذا فان ذا قربات يلتحق بالعاصمة الأموية، ليدخل قصر الخضراء خبيراً سياسياً، يعمل على ترسيم الخطط واللوائح القانونية، التي يقتضيها تأسيس دولة على حساب الشرعية القائمة، والمتمثلة في علي وأولاده عليهم السلام.

وسيكون ذو قربات مختفياً خلف أسوار أموية، تنعدم معها أخباره تماماً، اي أن الذين ترجموا لذي قربات لم يقفوا على نهايته المريبة، بعد انقطاع أخباره، وانعدام المعلومات المتوفرة لدى المؤرخين في شأن هذه الشخصية المجهولة المبهمة، فهم لم يقفوا على انشطته المجهولة ما بعد الشام، أي ما بعد وصوله الى الشام والتحاقه بمعاوية ليغلق من ورائه أبواب القصر، الذي دخله متخفّياً عن أنظار المسلمين، ولم يقفوا على خصوصياته بل على سنة وفاته وأخبار نهايته، وهو أمر مثير للشكوك، ومثيرٌ للدهشة كذلك.

فالحياة العربية لم تكن مغلقة الى هذا الحد، فهي تنفتح على كل أحد، وليس من شأن البيئة العربية أن تُخفي أحداً وراء أسوار مغلقة،

فالحياة الاجتماعية تقتضي التعرف على ما يدور في أرجاء فُسحات مجالسها العامرة بلقاءات الناس، وهم يتداولون أخبار المجتمعات، كما هم يتداولون أخبار الأفراد الذين يعيشون بين ظهرانيهم، ولايتاح لأحد أن يبتعد عن أضواء المجتمع العربي - القبائلي، الذي يعتز بشخصيته، فضلاً عن احتضانه للوافدين اليه، ليتعاطى معهم أضيافاً كرماء، فما معنى اختفاء ذي قربات النازل بين ظهرانية الشاميين؟! وما الذي دعا معاوية بن أبي سفيان أن يُلغي دوره الاجتماعي، ليحتكر نشاط ذي قربات داخل قصر الخضراء؟!

وبعد التحاق ذي قربات بحاضرة الشام الأموية، يكتمل الفريق الروائي، المؤلّف من ذي قربات اليهودي، وكعب الاحبار اليهودي، وأبي هريرة القادم من المجهول.

ولا يخفي مروان امتعاظه من أبي هريرة، وعدم قناعته بصحبته، وهو الشعور العام الذي ساد أوساط الامويين فضلا عن المسلمين جميعاً.

فبالرغم من محاولات معاوية وبني أمية من الاتّكاء على شرعية صحبة أبي هريرة الاّ أنّهم لا يخفون عدم قناعتهم في هذا الامر...وهذا لا يعني عدم امكانية التفاهم بين الطرفين بعد عقد «صفقة» التفاهم بين الجانبين.

لم يعد أبو هريرة خافياً على أحد، ولم تشفع الشهادات الرسمية التي تمّت في حقه من تعظيم أمر صحبته أن يعترف مروان وغيره في تزوير حقيقة تاريخه ومدى صحة صحبته بالنبي ﷺ ليمكن له أن يحدّث عنه بما يشاء ولمن يشاء ومتى يشاء...

ان مروان الذي أعلن عن تزوير الحقائق بعد منازعته مع أبي هريرة يعطي علامة واضحة في تراجع النظام عن تأييده بعد استتباب الأمر، وموت الحسن بن علي عليهما السلام سيعني تحولاً خطيراً في تاريخ معاوية السياسي، فهو قد أمِن جانب التنافس الاقوى في المعادلة السياسية التي دخل بها معاوية، بعد أن كان الامام الحسن عليه السلام يشكّل عقبةً مهمة في امكانية انتصار معاوية واستتباب الامور له، واذا كان الأمر كذلك فلا يبقى بعد ذلك لأبي هريرة قيمة

في اللعبة السياسية التي انتهت بشهادة الامام الحسن عليه السلام، ولا تُعد صحبة أبي هريرة للنبي صلى الله عليه وآله وعدم صحبته ذات بال وخطورة في هذه المعادلة، بل قد تكون محاولة في تضعيف أبي هريرة وتقزيمه

وهذا يعدّ أمراً مطلوباً لئلا يستفحل أمر أبي هريرة فيكون بعد ذلك أداة في تهديد معاوية الذي قويت شوكته بعد شهادة الامام الحسن عليه السلام - كما ذكرنا - والرواية التالية توقفنا على هذا التحول فضلا عن اعتراف مروان - أحد أقوى رجال الدولة الاموية في نفي صحبة أبي هريرة.

روى الذهبي عن الوليد بن رباح: سمعت أبا هريرة يقول لمروان: والله ما أنت والٍ، وان الوالي لغيرك، فدعه - حينما أرادوا دفن الحسن عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله - ولكنك تدخل فيما لا يعنيك، انما تريد بها أرضاء من هو غائب عنك يعني معاوية فأقبل عليه مروان وقال: يا أبا هريرة ان الناس قد قالوا: أكثر وانما قدم قبل وفاته يسيرا.

فقال: قدمت - والله - ورسول الله صلى الله عليه وآله بخيبر، وانا يومئذ قد زدت على الثلاثين سنة سنوات، وأقمت معه حتى توفي، أدور معه في بيوت نسائه وأخدمه، وأغزو وأحجّ معه وأصلّي خلفه حتّى توفي فكنت والله أعلم الناس بحديثه.[1]

وهذا التوتر في علاقة أبي هريرة بالأمويين يكشف لنا عدم قناعة حتى الأمويين أنفسهم في حقيقة صحبته وواقعه المبهم كذلك.

١- سير أعلام النبلاء للذهبي ٢: ٥٩٥.

يهودية أبي هريرة
في تفضيل نبي الله موسى على النبي ﷺ

ولم يخفِ أبو هريرة يهوديته حينما فضّل نبي الله موسى على النبي ﷺ؛ وهو مبنىً يهودي يحاول بيان فضل موسى وأحقيته في رسالته دون النبي ﷺ ورسالته، والا فما معنى قوله: لا تخيروني على موسىٰ..؟ وأن النبي ﷺ يصعق وموسىٰ لا يصعق يوم القيامة، واذا صُعق موسىٰ أفاق قبل النبي ﷺ، وهي محاولة يهودية واضحة لبيان فضل موسى على النبي ﷺ.

روى البخاري عن أبي هريرة قال: استب رجل من المسلمين، ورجلٌ من اليهود، فقال المسلم: والذي اصطفى محمدا على العالمين في قسم يُقسم به، فقال اليهودي: والذي اصطفىٰ موسىٰ على العالمين، فرفع المسلمُ يدهُ عند ذلك فلطم اليهودي، فذهب اليهودي الى رسول الله ﷺ فأخبره بالذي كان من أمره وأمر المسلم، فقال النبي ﷺ لا تخيروني على موسىٰ، فان الناس يُصعقون يوم القيامة فأكون أوّل من يفيق، فاذا موسىٰ باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صَعِقَ فأفاق قبلي، أو كان فيمن استثنى الله[1].

١-المصدر السابق ٩: ١٧٠.

أبو هريرة والنزعة الأموية

لم تكد أبواب روايات الملاحم والفتن تُفتح على مصراعيها، حتى نجد أبا هريرة وكعباً وأمثالهما من «يهود الأموية» يلجوها دون تحفظ أو تردد، فهم يقحمون أمويتهم بشكل يثير القلق حقاً، اذ مع قداسة المسلمين لمكة والمدينة، فهم يحاولون ادراج مدينة الشام «المقدّسة» ، والتأكيد على «قداسة» الشام هي محاولة تحظيرية لتكون العاصمة المقدسة قُبالة المدينة عاصمة العلويين، فضلاً عن الكوفة محط رحال الانبياء،و مهبط الاولياء من آدم فما بعد النبوة المحمدية عليه وعلى اله أفضل السلام، ومكة البيت الحرام التي جعل الله أفئدة الناس تهوي اليها، فما الذي بقي لدمشق الشام سوىٰ حاضرة النصارىٰ التي يحج اليها مسيحيّو العالم، ليلتقوا في الناصرة التي تعد من حواضر الشام النصرانية يومذاك..اذن لم تبق لشام معاوية قداسة المسلمين مع وجود هذه الحواضر الاسلامية المقدّسة مكة، والمدينة، والكوفة، واذا أراد معاوية أن يقارع تراث عاصمة علي بن أبي طالب عليه السلام، فانه يقارع حضارة نبوة، ومهبط وحي، ورفادة أنبياء، واذا أراد أن يفاخر فلا فخر لمعاوية الا ناصرة المسيحين، وتراث الروم ومعابد أحبار اليهود، فما السبيل على هذه المراهنة الخطيرة، ومعاوية بن أبى سفيان فى أول الطريق لاعلان

امبراطوريته الكسروية، الا أن يوظّف جهد كعب وأبي هريرة وذي قربات وغيرهم من يهود الأموية، ليغيّروا خارطة القداسة في اذهان المسلمين فيتصدّون لوضع أحاديث شام «الخلافة»، ودمشق «القداسة» في مدونات الحديث، ليحصل معاوية على «ضمانة» التأسيس لدولته غير الشرعية.

بشائر ابي هريرة لشام معاوية..

عصابة الحق «أهل دمشق»..

روى ابن عساكر عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لا تزال عصابة يقاتلون على أبواب دمشق وما حولها، وعلى أبواب بيت المقدس وما حولها، لا يضرهم خذلان من خذلهم، ظاهرين على الحق الى يوم القيامة.

وروى أبو هريرة:

لا يزال لهذا الامر أو على هذا الأمر عصابة على الحق، لا يضرهم خلاف من خالفهم،حتى يأتيهم أمر الله..وفي لفظ آخر

لا تزال من أمتي عصابة قوّامة على أمر لا يضرها من خالفها، تقاتل أعداء الله، كلما ذهبت حرب نشبت حرب قوم آخرين، يزيغ الله قلوب قوم منه حتى تأتيهم الساعة، كأنها قطع الليل المظلم، فيفزعون لذلك حتى يلبسوا له أبدان الدروع، وقال رسول الله ﷺ: هم أهل الشام ونكت باصبعه يومي بها الى الشام حتى أوجعها. رواه البخاري في تاريخه، وفي لفظ آخر:

هذه الأمة منصورة بعدي منصورون أينما توجهوا، لا يضرهم من خذلهم من الناس حتى يأتيها أمر الله اكثرهم أهل الشام.

وفي لفظ آخر: لن تبرح هذه الأمة منصورة تقذف كل مقذف،

منصورين أينما توجهوا، لا يضرهم من خذلهم من الناس، هم أهل الشام.

وفي لفظ : لا تزال عصابة من أمتي على الحق، ظاهرين على الناس، لا يبالون بمن خالفهم، حتى ينزل عيسى بن مريم عليه السلام.

قال ابو عمرو: فحدثت قتادة بهذا الحديث فقال: لا أعلم أولئك الا أهل الشام.

ومعلوم أن قتادة هذا قدري على سيرة معاوية، فضلا عن كونه مدّلسا معروفاً.

قال الذهبي في ترجمته لقتادة: حافظ ثقة ثبت، لكنه مدلّس: ورمي بالقدر، قاله يحيىٰ بن معين، ومع هذا فاحتج به أصحاب الصحاح..[١]

فكيف يوصف بالثقة من كان هذا شأنه، قدرياً مدلساً؟!

وروى عن أنس مرفوعاً، وفي لفظة: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة وأومأ بيده الى الشام.

وعن عمير بن هانيء قال: خطبنا معاوية بن أبي سفيان فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق...الحديث.

وعن أبي هريرة مرفوعاً: اذا وقعت الملاحم يخرج بعث من دمشق من الموالي هم اكثر - وفي لفظ - هم أكرم العرب فرساً،

١-ميزان الاعتدال ٣: ٣٧٢.

وأجودهم سلاحاً، يؤيد الله بهم الدين.

وروى أبو هريرة: اذا وقعت الملاحم خرج بعث من دمشق هم خيار عباد الله، الأولين والاخرين.[١]

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: الخلافة بالمدينة والملك بالشام[٢].

وقال ابو هريرة في تفسير قوله تعالى: (وَءَاوَيْنَاهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ)

قال: الربوة ذات قرار ومعين هي الرملة من فلسطين[٣]

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ أربع مدائن من مدائن الجنة، وأربع مدائن من مدائن النار، فأما مدائن الجنة: فمكة، والمدينة، وبيت المقدس، ودمشق، وأما مدائن النار، فالقسطنطينية، وطبرية وانطاكية المحترقة، وصنعاء.[٤]

وروى أبو هريرة: ان الله اختار من المدائن أربعة: مكة وهي السدرة، والمدينة وهي النخلة، وبيت المقدس وهي الزيتونة، ودمشق وهي التينة.[٥]

وعن أبي هريرة قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ اذ اقبل معاذ بن جبل أو سعد بن معاذ، فقال النبي ﷺ حين رآه: اني لآرى في

١-الاحاديث كلها من تاريخ دمشق لابن عساكر ١: ٣٢ - ٤٠.
٢-المصدر السابق: ٤٢.
٣-المصدر السابق: ٣٦.
٤-المصدر السابق ١: ٤٧.
٥-المصدر السابق: ٤٨.

وجهه لأحسن طالع قال: فجاء حتى سلّم على النبي ﷺ فقال: ابشر يا رسول الله قد قتل كسرىٰ، فقال ﷺ: لعن الله كسرىٰ ثلاثاً، ثم قال: ان أول الناس فناءً أو هلاكاً فارس، والعرب من ورائها، ثم أشار بيده قبل الشام، وقال: الا بقية ههنا.[١]

وعن أبي هريرة مرفوعاً، أربع ملاحم في الجنة، الجمل في الجنة، وصفين في الجنة، وحرة في الجنة وكان يكتم الرابعة.[٢]

ومحاولة أبي هريرة في تزكية من قتل في ملاحم الفتن ضد علي بن أبي طالب ﷺ غير موفقة، فكون خروج هؤلاء على امام زمانهم ونكث الآخرين بيعتهم أمر يقتضي حتمية ضلالهم اذ من غير الممكن أن نصحح ما أقدم عليه معاوية بن أبي سفيان من الخروج على الخليفة الامام، واذا كانت عدم معرفة الامام تودي بالشخص الى أن يموت ميتة جاهلية، وعدم المعرفة أعم من العلم والجهل بل هي اشارة الى معرفة حقوق الامام، وتكليف الشخص اتجاه طاعته ومتابعته لامام زمانه، فقد ورد عنه ﷺ: من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية[٣]. فاذا كانت عدم معرفة الامام محبطة لأعمال الشخص و من ثَمَ توجب أن تكون ميتتهُ ميتة جاهلية، فما حسبك فيمن خرج على امام زمانه وأعلن الحرب ضده؟!

وما رواه البخاري في صحيحه عن رسول الله ﷺ: من خرج من

١-المصدر السابق: ٦٥. ٢-المصدر السابق: ٧٤.

٣- صحيح البخاري باب الفتن ٥: ١٣، مسند أحمد.

السلطان شبراً مات ميتة جاهلية[١]

فما حكم من خرج على امام زمانه شاهراً عليه السيف محارباً له ولأولاده؟!

وهو ما فعله معاوية بن أبي سفيان في حروبه ضد علي بن أبي طالب عليه السلام، الذي أقرت له الامة بالطاعة، وبايعته بالخلافة.

واذا كان الأمر كذلك فما معنى ما يرويه أبو هريرة من أحاديث، سوىٰ أنها تأكيد لتوجهات الأمويين ومنح الشرعية المفقودة ضمنًا منهم أنهم سيحصلون عليها بأساليب وضع الحديث، الذي ارتكبه أبو هريرة وكعب وذو قربات، ذلك التحالف اليهودي المشؤوم.

١-صحيح البخاري كتاب الفتن ٤: ٤٤٤.

ولم ينفرد أبو هريرة في تأييده معاوية بن أبي سفيان ما لم يشترك في مؤامرة «التأسيس» لدولة الأمويين رجالٌ من «الصحابة»، استهوتهم محاولات أبي هريرة، وما وجدوه من تأييد الأمويين وتسديدهم له حتى صار ذلك مبعثاً لشعور أولئك الذين يبحثون عن الجاه والسلطان، أن ينتسبوا الى السلطان بما يضعونه من حديث، وهؤلاء المقلّدة لأهل الوضع في الحديث، وجدوا أن أقصر الطرق للدخول الى قصر الخضراء هو وضعهم الحديث في تأييد آل أبي سفيان، ناسبين ما يروونه الى رسول الله ﷺ كذباً وزوراً، ومن هذه النماذج التي انتسبت الى أبي هريرة مدرسة في القول والسلوك، هو عبد الله بن عمر، واليك ما وضعه من حديث:

قال عبد الله بن عمر غزونا مع معاوية مصر، فنزلنا منزلاً، فقلت لمعاوية: أتأذن لي أن أقوم فوق فرسي في الناس - يعني خطيباً - فأذن له فقام فحمد الله و اثنى عليه، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: رأيت في المنام أن عمود الكتاب حُمِلَ من تحت وسادتي، فاتبعته بصري، فاذا هو كالعمود من النار، يعمد به الى الشام، ألا وان الايمان اذا وقعت الفتن بالشام، يقولها ثلاثاً.[1]

١-تاريخ دمشق لابن عساكر: ٣٢.

وعلى مثل هذا لفّق أبو هريرة، ومن هو على شاكلته في تأييد الأمويين، حتى صار ذلك سيرة سيئة يعمد أهل الحديث بوضعهم على رسول الله ﷺ، ليجدوا الحظوة عند أهل سلطان، فينالوا عطاياه ويحظوا بقربه!.

ابتكار أبي هريرة في تكفير أبي طالب

ولم يزل أبا هريرة في محاولاته تأييد معاوية عند تأسيس دولته، يبتكر أساليب الطعن والتسقيط للمقابل، ولم يقتصر أبو هريرة على شخصية الطرف المقابل حتى يتعدىٰ ما بعد شخصيته، ليصل طعنه على ما تسالم الجميع على ايمانه، أي اذا كان معاوية وأبوه طليقين، فان علي بن أبي طالب مات أبوه كافراً، هكذا حاول أبو هريرة أن يحل عقدة اسلام آل أبي سفيان، وكون اسلامهم كان عن اكراه، وهو أمرٌ لم يختلف عليه اثنان من المسلمين،

فأين المؤمن من الطليق ؟

وأين الموحّد من الوثني؟

وأين السابق للاسلام من الذى أكره عليه؟

فعليّ أول من آمن،

ومعاوية لم يسلم الا تحت بريق السيوف

وعليّ وأبوه أوّل من حاميا عن رسول الله ﷺ..

ومعاوية وأبوه أوّل من كادا لرسول الله ﷺ..

وكان أبو طالب، لا يدّخر كل جهد للدفاع عن الاسلام..

وكان أبو سفيان، لايترك كل خسيسة للنيل من الاسلام..

وكان أبو طالب، سيد البطحاء فى كل مكرمة، ألفتها قريش من

ذي قبل..

وكان أبو سفيان، سمسار كل ساقطة لم تألفها حواضر العرب، وأحياء قريش..

وكان أبو طالب، قد تكفّل رسول الله ﷺ بحفظه ورعايته..

وكان أبو سفيان، قد تعهّد بكل مكيدة وخسيسة..

وكان أبو طالب، يفتخر في كل فضيلة..

وكان أبو سفيان، يأنف عن كل مكرمة..

فأبو طالب وابنه، مجامع الكرائم والفضائل..

وأبو سفيان وابنه، بؤرة الغدر والمكائد..

فكيف والحال هذا يستقر الامر لابن أبي سفيان في مواجهة خصم يفوق عليه في كل شيء؟

نسباً وحسباً، عبادةً وزهادة، علماً وشجاعة، كرماً وسخاءً.. الى غير ذلك من محاسن الصفات، وأطائب الكرم..

ومعاوية يدخل في معادلة غير متكافئة مع علي، فما الحيلة بعد ذلك ولاشأن لمعاوية أن يكون منافساً لابن أبي طالب سيد البطحاء، ومؤمن قريش، الاّ أن يجعل أبا طالب - وعلى لسان رواته كأبي هريرة - «كافراً» لم يؤمن حتى موته، ليقلل - كما ظن - من بريق علي، وتوهجه في كل مكرمة.

فقد حاول أبو هريرة عبثاً أن يطعن في علي بن أبي طالب باسلوب غير مباشر، وذلك حينما حاول أن يطعن في ايمان أبي

طالب واتهامه بالموت كافراً.

روى مسلم عن أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ لعمه أبي طالب: قل لا اله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة، قال: لولا أن تعيرني قريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع، لأقررت بها عينيك، فأنزل الله تعالى «إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ».[1]

وهي محاولة ظاهرة من ايهام الآخرين بأنّ أبا طالب مات مشركاً، ليقطع الطريق على ما كان من أمر معاوية وأبي سفيان الذين لم يسلما الا بعد فتح مكة فأطلقهما رسول الله ﷺ فسماهم بالطلقاء، وهو أمر يحرج معاوية بن أبي سفيان ابّان تمرده على الشرعية المتمثلة في علي بن أبي طالب، ويرى الناس أن ليس هناك تكافؤاً بين الطرفين، فعلي من قد عرفه الجميع، أول من أسلم وأول من آمن، وأبوه كان مدافعاً عن رسول الله ﷺ من جبروت قريش وعتاتهم، لذا فقد حاول أبو هريرة أن يبحث عن محاولة للموازنة بين الطرفين، ليتكافئا ولئلا ترجح كفة علي في كل شيء، الا أنها معادلة أثبتت فشلها، اذا ما قورنت بالاحاديث الكثيرة التي تثبت ايمان أبي طالب عليه السلام منها:

١ - أبو طالب يحث علياً بملازمة النبي ﷺ واتباعه:

روى ابن هشام في سيرته

أن أبا طالب قال لعلي: أى بُنيّ ما هذا الدين الذي أنت عليه؟

١-صحيح مسلم ١: ٣١ عنه أبو هريرة للسيد شرف الدين الموسوي: ٤٥.

فقال: يا أبت آمنت بالله و برسول الله وصدّقته بما جاء به، وصليت معه لله واتبعته، فقال له: أما أنه لم يدعُك الا الى خير، فألزمه.[١]

٢ - النبي ﷺ يفتقد نصرة عمه أبي طالب:

روى الطبري في تاريخه:

ان النبي ﷺ كان يقول: ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب، ولما هلك أبو طالب خرج رسول الله ﷺ الى الطائف يلتمس من ثقيف النصر والمنعة له من قومه.[٢]

٣ - أبو طالب يوصي قريشاً بملازمة النبي ﷺ واتباعه:

روى سبط ابن الجوزي في التذكرة:

عن الواقدي قال: دعا أبو طالب قريشاً عند موته فقال: لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد ابن أخي، وما ابتعتم أمره فاتبعوه وأعينوه.[٣]

٤ - روى ابن هشام في سيرته قصيدة أبي طالب قال فيها:

لقد علموا أن ابننا لا مكذّب
لدينا ولا يُعنى بقول الاباطلِ
فأصبح فينا أحمدٌ في أرومة
تقصّرُ عنه سورة المتطاول

١-سيرة ابن هشام: ١٩٦ دار الفكر. ٢-تاريخ الطبري ٢: ٨٠

٣- تذكرة الحفّاظ للسبط ابن الجوزي: ١٩.

حـــديثُ بـــنفسي دونـــه وحـميتهُ
ودافـــعتُ عـــنه بـالذُرا والكـلاكـلِ
فأيـــــده رب العـــــبادِ بـــنصرهِ
وأظـــهر ديـــناً حـــقهُ غـيرُ بـاطلِ
رجـــالٌ كـــرامٌ غـــير مـيل نـماهمُ
الى الخـــير أبـــاءٌ كـــرامُ المـحاصلِ
وحـــتى نـــرى ذا الضـغن يـركب ردعـه
مـــن الطـعن فـعل الأنكب المـتحاملِ
وانـــا لعـــمر الله ان جـــدّ مـــا أرى
لتـــــلتباً أســـــيافنا بـــــالأماثلِ
بكـفي فـتىً مـثل الشـهاب سـميدعٌ
أخـــي ثـــقةٍ حـامي الحـقيقةِ بـاسلِ
شـــهوراً وايـــاماً وحـــولاً مـجرّماً
عـــلينا وتأتـــي حـــجةٌ بـعد قـابلِ
ومـــا تـــركُ قـــومٍ لا أبـالك سـيداً
يـــحوطُ الذمـار غـير دربٍ مـواكـلِ
وأبـــيض يســـتسقىٰ الغـمام بـوجهه
ثـــمالَ اليـــتامىٰ عـصمة للأرامـلِ[1]

١- قال ابن هشام: أقحط أهل المدينة، فأتوا رسول الله ﷺ فشكوا ذلك اليه، فصعد رسول الله ←

يـــلوذُ بـــه الهـلاّك مـن آل هـاشمِ
فـــهم عـندهُ فـي رحـمةٍ وفـواضـلِ
ولقـــــد رأيت القـــوم لا ودّ فـــيهم
وقـد قـطعوا كـل العـرى والوسـائلِ
وقـــد صـــارحـونا بـالعداوة والأذىٰ
وقـد طـاوَعوا أمـرَ العـدوِ المـزايـل
وقـــد حـــالفوا قـــوماً عـلينا أظـنةً
يـــعضون غـــيظاً خـــلفنا بـالأناملِ
صـبرتُ لهـم نـفسي بسـمراء سـمحةٍ
وأبـيضَ عـضب مـن تـراث المـقاولِ
وأحضرتُ عـند البيت أهـلي وأخـوتي
وأمسكتُ مـــن أثـــوابـه بـالوصائل
قـــياماً مـــعاً مســـتقبلين رتـــاجهُ
لدىٰ حـيث يُـقضىٰ حـلفهُ كـل نـافلِ
أعـوذ بـرب النـاس مـن كـل طـاعنٍ
عـــلينا بســـوءٍ أو مـــلّح بـــباطلِ

← ﷺ المنبر فاستسقى فما لبث أن جاء من المطر ما أتاه أهل الضواحي يشكون منه الغرق، فقال رسول الله ﷺ اللهم حوالينا ولا علينا، فانجاب السحاب عن المدينة فصار حواليها كالاكليل فقال رسول الله ﷺ لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره فقال له بعض أصحابه كأنك يا رسول الله أردت لقوله:

وابيض يستسقىٰ الغمام بوجهه ثمالَ اليتامىٰ عصمةٌ للأراملِ

ومـــن كـــاشح يسـعى لنـا بـمعيبةٍ
ومـن ملحقٍ فـي الديـن ما لم نـحاولِ
وثـــور ومـــن أرســى ثـبيراً مكـانهُ
وراقٍ ليـــرقى فـــي حـــراء ونـازلِ
وبـالبيت حـق البـيت مـن بـطن مكـة
وبـــــالله ان الله ليس يـــــغافلِ
وبـــالحجر المســـود اذ يـــمسحونه
اذا اكـــتنفوه بـــالضحى والأصـــائلِ
ومـوطىء ابـراهـيم فـي الصخر رطـبة
عـــلى قـــدميه حـــافياً غـير نـاعل
وأشـــواط بـين المـروتين الى الصـفا
ومـــا فـــيهما مـن صـورة وتـمائلِ
ومـن حـج بـيت الله مـن كـل راكب
ومـن كـل ذي نـذرٍ ومن كـلِ راجـلِ
وبـــالمشعر الاقـــصى اذا عـــمدوا له
إلالٍ الى مـــفضي الشـــراج القـوابـل
وتـــوقافِهم فـــوق الجـــبال عشـيةً
يـقيمون بـالايدي الصـدور الرواحـلِ
وليـــلة جـــمع والمـنازلِ مـن مـنى
وهـــل فـــوقها مـن حـرمةٍ ومـنازلِ

الى أن يقول:

كـــذبتم وبـــيت الله نـــترك مكـــة

ونـــظعنُ إلاّ أمـــركم فـــي بـــلابل

كـــذبتم وبـــيت الله نـبزى مـحمداً

ولمـــا نـــطاعن دونـــه ونـــناضلِ

ونســـلمه حـــتى نـــصرّع حـــوله

ونـــذهل عـــن أبـــنائنا والحـــلائل

ويـــنهض قـــوم بـــالحديد اليكـــم

نهوض الروايا تحت ذات الصـلاصلِ[1]

٥ – أبو طالب يوصي النجاشي بالمهاجرين له من المسلمين خيراً:

قال ابن هشام:

بعث أبو طالب أبياتاً للنجاشي يحضه على حسن جوارهم والدفع عنهم « المهاجرون الى الحبشة من المسلمين ».

ألاليت شعري كيف في النأي جعفرٌ

وعـــمرو وأعـــداء العـدو الاقـاربُ

فـهل نـال أفـعال النـجاشي جـعفراً

وأصـــحابه أو عـــاق ذلك شـــاغبُ

١-القصيدة أكثرها أثبتها ابن هشام في سيرته ١:٢١٠.

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمالَ اليتامى عصمةٌ للأراملِ

تـــعلَم أبـيتَ اللـعن أنك مـاجد

كريمٌ فـلا يشـقى لديك المـجانبُ

تـــــعلّم بأن الله زادك بســـطةً

وأســـبابَ خـير كـلها بك لازبُ

وأنك فـــيض ذو ســجال غـــزيرةٍ

يـنالُ الاعـادي نـفعها والأقـاربُ[1]

٦ - أبو طالب يتوعد قريشاً:

وقال ابن هشام في سيرته:

قال ابن اسحاق: فلما اجتمعت على ذلك قريش - أي على ايذائهم للنبي ﷺ ولأتباعه بأمر الصحيفة والمقاطعة - وصنعوا، فيه الذي صنعوا قال أبو طالب:

ألا أبـــلغا عـــني عـلى ذات بـيننا

لؤيـا وخـصاً مـن لؤي بـني كـعبِ

ألم تعلموا أنـا وجـدنا مـحمداًنبياً

كـموسى خُـط فـي أولِ الكـتبِ

وأن عـــليه فـــي العـــباد مـحبة

ولا ضـير مـمن خـصهُ اللـهُ بـالحبِ

وأن الذي ألصـــقتمُ مـــن كـتابكم

لكـم كـائناً نـحساً كـراغـية السـقبِ

---

١ - سيرة ابن هشام ١: ٢٥٥.

أفيقوا أفيقوا قبل أن يُحضرَ النوى
ويصبح من لم يجنِ ذنباً كذي الذنبِ
ولا تتبعوا أمر الوشاة وتقطعوا
أواصرنا بعد المودةِ والقربِ
وتستجلبوا حرباً عواناً وربّما
أمرّ على من ذاقهُ حلبَ الحربِ
فلسنا وربِّ البيت نسلمُ أحمداً
لعزاءَ مِن عضِ الزمان ولاكربِ
ولمّا تبِنْ منّا ومنكم سوالفٌ
وأيد أترّت بالقساسية الشهبِ
بمعترك ضيقترى كسِرَ القنا
به والنسور الطخم يعكفن كالشربِ
كأنّ مجال الخيل في حجراتهِ
ومعمعة الابطال معركة الحربِ
أليس أبونا هاشمٌ شدّ أزرهُ
وأوصى بنيه بالطعان وبالضربِ
ولسنا نملُ الحرب حتى تملنا
ولا نشتكي ما قد ينوب من النكبِ

ولكـــنا أهـــل الحـفائظ والنـــهى
اذا طار أرواح الكـماةِ مـن الرعبِ[١]

وقول أبي طالب:

ألم تـعلموا أنّـا وجـدنا مـحمّداً
نبيّاً كموسىٰ خُطَّ في أوّلِ الكتـبِ

إعتراف من أبي طالب في تصديقه النبي ﷺ، واقراره على أنه هو النبي الموعود، مبشرة بذلك به كتب السماء. على أن شـمول أبـي طالب في أمر مقاطعة قريش دليلٌ على اسلامه وانتسابه للمسلمين، والا من غير المعقول أن تشمله قريشاً بالمقاطعة وهـو لم يـدخل الاسلام بعد، لولا اطمئنان قريش ووثوقها من اسلامه عليه السلام.

تعدُّ الابيات التي أوردناها عن أبي طالب ودفاعه عن النبي ﷺ وتهديده قريشاً وثائق دامغة على ثبوت اسلامه، دون أدنـى ريب، وأحسبُ أن ابتكار أبي هريرة في اتهام أبي طالب بالكفر - والعياذ بالله - ابتكار روّج له الأمويون، حتى جعلوه أمراً مرتكزاً في أذهان أكثر المؤرخين، بل حتى الرواة الذين جاؤوا بعد أبي هريرة، والا لم نعهد قبل أبي هريرة شكّ في اسلام أبي طالب عليه السلام.

على أن معاوية بن أبي سفيان واجه الامام علي عليه السلام بكل

---

١ - سيرة ابن هشام ٢: ٤.

دعوى، الا أنه لم ينسب اليه في مراسلاته الثنائية بينه وبين علي ﷺ، بل وحتى أولاد علي عليهم السلام؛ أمر التشكيك في ايمان أبي طالب ﷺ فضلاً عن اسلامه، ولو كانت المسألة قد تعارفت لدى المسلمين، لكان أولى بذكرها معاوية بن أبي سفيان وأتباعه وهذا لايناقض ما ذكرناه من قبل، بأن معاوية هو الذي دعى أبا هريرة للطعن فى اسلام أبى طالب، فالحث على اشاعة هذه الدعوى ليس بالضرورة تبنيها في خطبه ومراسلاته، فمعاوية حاول التمويه على عدم زج هذه الدعوى في خطاباته لئلا يتهم بتدبير القضية مباشرة، بل ألقاها على لسان «رواة البلاط» كأبي هريرة في تدبير طرح هذه الدعوى، والعمل على أن تكون احدى مرتكزات العامة للاستفادة منها مستقبلاً وعلى الأمد البعيد.

فمحاولات أبي هريرة الخائبة لم تلق تأييداً جاداً، عدا ما عُرف من محاولات القصاصين، وأهل السير من ذوي السلطان، الذين روّجوا لمثل هذه الموضوعات طعناً في أهل بيت العصمة ومعدن الرسالة صلوات الله عليهم وعلى آبائهم الطاهرين.

وأمر مهمّ آخر يظهر فيه زيف هذه الدعوى، وهي أن أبا طالب (رض) مات في مكة قبل الهجرة، والتحاق أبي هريرة بالمسلمين بعد الهجرة أى في وقعة خيبر، فمتى أدرك أبو هريرة أبا طالب ليمكن الاخذ عنه هذه الدعوى؟!

القدر بضاعة يهودية بضمانة أموية..

لم يكد معاوية بن أبي سفيان يؤسس دولته، حتى عمل على ايجاد «ضمانات» فكرية تكسبه «مشروعية» تمرّده على الخليفة الامام، وبالتالي تضمن وجوده في عرض الخلافة الشرعية، أي حاول معاوية بن ابي سفيان اقحام مفاهيم اغرى بها العامة، ليحتملهم على قبول أمر يخالف به الشريعة، وبالتالي سيجعل لهذه المفاهيم سمتها القانونية والدستورية التي يبني عليهما كيانه اللاشرعي، أي ستكون دولته الأموية ولادة غير شرعية، ناشئة من تلاقح مفاهيم مستوردة من لدن جمعيات سرية تعمل في الخفاء، وهي تجمعات يهودية تتربص بالدين الذي سحق كيانها وأحالها الى تابعة ذليلة يتخطفها الناس من كلّ جانب، لذا فهي «أحق» بالكيد للدين الجديد، من خلال طروحاتها التي تنسجم وحالات الكيانات اللاشرعية التي هي «تورمات» غير حميدة في الجسد الاسلامي الفتي، والذي لا يزال غير محتمل لأية محاولة تمرّد على حساب الشرعية، فمقولة القدر وجدت طريقها للعاصمة الاموية دون أدنى تردد، والمسلمون لم يُسبقوا بمثل هذه المقولات التي توعز كل عملٍ خيرهُ وشرهُ الى الله سبحانه وتعالى عما يشركون، اذ من غير الممكن أن يستقيم الأمر لمعاوية وهو في عرض الشرعية المتمثلة

في خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام، التي أجمعت عليها الأمة.

اذن فمعاوية بحاجة للخروج من هذا المأزق الخانق الذي معه تحدد جميع تحركاته، ومع هذا الوضع غير الشرعي يشعر معاوية بالحرج الشديد وهو في خضمّ صراعه مع علي بن أبي طالب عليه السلام، لذا فتبنّي مسألة الجبر هي الطريقة الوحيدة التي سيستطيع معها معاوية من ارتكاب كل ما يحظره الشرع، وسيعطي لتمرده هذا وانفصاله عن الخلافة الشرعية مبررات انتهاكاته تلك، لذا فان أبي علي الجبائي يشير الى هذه البادرة الخطيرة بقوله الذي نقله القاضي عبد الجبار قائلاً:

ثم حدث رأى المجبرة من معاوية لما استولى على الأمر، وحدث من ملوك بني أمية مثل هذا القول. فهذا الأمر الذي هو الجبر، نشأ في بني أمية وملوكهم وظهر في أهل الشام ثم بقي في العامة وعظمت الفتنة فيه[١].

وقول ابن المرتضىٰ في ذلك أيضاً:

ثم حدث رأي المجبّرة من معاوية، وملوك بني مروان، فعظمت به الفتنة.[٢]

ففكرة الجبر والقدر، بضاعة يهودية، استقدمها معاوية، لتُصاغ من خلالها، اطروحته في الحكم، وبناء الدولة.

---

١ -فضل الاعتزال : ١٢٢ عنه الالهيات للشيخ جعفر السبحاني ٢: ٢٥٨.

٢ - البحر الزخار لابن المرتضى ١: ٣٩ عنه المصدر السابق.

وفي خضمّ هذه الصراعات الناشبة بين معاوية بن أبي سفيان ابّان تمرده على الامام علي بن أبي طالب عليه السلام، دفع اليهود بفكرة القدر هذه لتكون ضمانتهم في حرف المسار الاسلامي الى الوجهة التي أرادتها توجهاتهم، اذ لم يعهد من المسلمين هذه الفكرة أن تخترق أوساطهم، ولم يتعاط معها العرب قبل اسلامهم ثقافةً يُعرفونَ بها، الا ما أصاب اليمن الحميريين، الذين دانوا باليهودية[1]، فعرفوا بها ديناً، ونشئوا فيها وعليها.

على أن القدر ثقافة خاصة لا ترتبط بدين معين ولا بتأليه خاص، وانما هي افرازات ثقافية تتعهد في تفسير بعض الظواهر، أو تجد لبعض الحالات تفسيراً يخالف الالتزام الديني، او يرتبط بدين معين ارتباطاً غير مشروع، أي أن التفسير الانساني، حينما يكون بمعزل عن الارتباط الديني الحقيقي، فانه يبحث عن مبررات الفشل أو مبررات اللا شرعية ليرتكب أتباعه ومروّجوه، اختراقاتٍ غير مشروعه، وطبيعي أن اليهودية تعهدت لهذه التوجهات رؤيتها، في

١-أشار الى ذلك الاستاذ أحمد فهمي محمد في تعليقه على كتاب الملل والنحل ٣ : ٦٥٨ الهامش حيث ذكر سبب تحولهم من المجوسية الى اليهودية في قصة طويلة أن أحبار اليهود وقوم من أهل اليمن تنازعوا فتحاكموا الى النار، دخلوها حتى احترق قوم منهم وسلم الاحبار من اليهود، فصبئوا الى دين اليهودية عند ذاك.

تبرير انتهاكاتها، فأوجدت أعذارها الجاهزة باسم «القدر»، والتزمت سياساتها الجائرة، باسم «الجبر».

قال الدكتور جواد علي في كتابه المفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام:

ولا يعني القول بالجبر، أن قائله من المتألهين القائلين بوجود خالق أوجد الكون، فقد كان من المجبّرة من كان ملحداً لا يقول بخالق، وكان منهم من كان مشركاً، كما أن بينهم من كان يؤمن بوجود خالق أو جملة آلهة، فليس لمذهب الجبر علاقة با لخالق، وانما هو مذهب يرى أن الانسان مسيّر وانه يسير وفق ما كتب له، ومنهم من ينسبهُ الى علة هي «الله»، أو الدهر، ومنهم من لا ينسبه الى أحد، وهو مذهب موجود في اليهودية وفي النصرانية وفي الاسلام.[١]

على أن ما يقصده الكاتب من قوله «في الاسلام»، لا يعني بالاسلام المحمدي الأصيل، بل هو الاسلام الأموي الذي يمثله معاوية بن أبي سفيان ومن على شاكلته.

١-المفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام الدكتور جواد علي ٦: ١٥٣.

واذا كانت الشرعية الأموية تبحث عن مخرج من هذا المأزق الخانق، وهو التسلّط اللامشروع على الخلافة الاسلامية، فان في فلسفة القدر سعةً يستعين بها معاوية وأمثاله على مقدّرات المسلمين وحقوقهم، ويرتكب ما يخالف الشرع على أساس فلسفة القدر، وكون ذلك أمراً قدّره الله فلا مفر بعد ذلك منه ولا مندوحة عنه، لذا فقد تعهّد معاوية بالتزام فلسفة القدر، وتبني فكرة الجبر، وأن أعماله هذه مما لا مناص من ارتكابها، فان الأمور قد قدّرها الله، ولا مفر من أمره ومن حكمه.

هكذا استطاع معاوية أن يستغل فلسفة القدر لتدوير عجلة ماكنته السياسية، وبهذا الاسلوب حصل معاوية على تأييد العامة من أهل الشام، حتى انهم لم يقبلوا ببيعة أعلنها معاوية ما لم تكن البيعة ليزيد أمامهم بعدما استغلّ معاوية من تهييج الحس الديني لدى العامة، والتغرير بهم؛ أن بيعة يزيد قدراً مقدوراً.

روى السيوطي، قال: ان معاوية صعد المنبر «فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: انا وجدنا أحاديث الناس ذات عوار، زعموا أن ابن عمر وابن أبي بكر وابن الزبير لن يبايعوا يزيد، وقد سمعوا وأطاعوا وبايعوا له، فقال أهل الشام: والله لا نرضى حتى يبايعوا له على

رؤوس الاشهاد، والا ضربنا أعناقهم، فقال: سبحان الله ما أسرع الناس الى قريش بالشر، لا أسمع هذه المقالة من أحد منكم بعد اليوم، ثم نزل فقال الناس: بايع ابن عمر وابن أبي بكر وابن الزبير وهم يقولون: لا والله ما بايعنا فيقول الناس: بلى وارتحل معاوية فلحق بالشام[١]

وفي رواية ابن قتيبة :

فقال (معاوية) : يا أهل الشام ان هؤلاء النفر دعاهم أمير المؤمنين فوجدهم مطيعين، وقد بايعوا وسلّموا، قال ذلك والقوم سكوت ولم يتكلّموا شيئاً حذر القتل، فوثب أناس من أهل الشام فقالوا: يا أمير المؤمنين ان كان رأيك منهم ريب فخلّ بيننا وبينهم، حتى نضرب أعناقهم فقال معاوية: سبحان الله ما أحل دماء قريش عندكم يا أهل الشام. لا أسمع لهم ذكراً بسوء فانهم، قد بايعوا وسلّموا، وارتضوني فرضيت عنهم، رضي الله عنهم.[٢]

فما الذي عبّأ هؤلاء الرعاع من أهل الشام، أن يصدّقوا بمعاوية ويسلّموا بمقالته دونى أدنى ريب، لولا أن يأخذهم بمقالة القدر، وفكرة الجبر، التي قدّر له أن «يستخلف» يزيد عليهم خليفة، وقدّر لهم أن يرضوه فيبايعوه، ويقتلون من امتنع عن البيعة، أو تردد فيها أو راب منها، لأنها «قدراً مقدوراً».

قال ابن قتيبة: قالوا: ثم لم يلبث معاوية بعد وفاة الحسن – رحمه

١- تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٨٣. ٢- نفس المصدر.

الله – الا يسيراً، حتى بايع ليزيد بالشام وكتب بيعته الى الآفاق، وكان عامله على المدينة مروان بن الحكم فكتب اليه يذكر الذي قضى الله به على لسانه من بيعة يزيد.[١]

ولذا أخرج البخاري والنسائي وابن أبي حاتم، واللفظ له، من طرق، أن مروان خطب بالمدينة وهو على الحجاز من قبل معاوية فقال: ان الله قد أرى أمير المؤمنين في ولده يزيد رأياً حسناً[٢].

أي أن هذا القدر الذي قدّره الله في أمر خلافة يزيد صار وحياً أوحي الى معاوية ونفثً في روعه أن يستخلف على المسلمين يزيد لأنه قدراً مقدوراً.

هذه الفلسفة التي استفحلت على منطق النظام وتحركاته، بل وحتى على قراراته الطائشة التي ألغى فيها معاهدة الصلح من طرف واحد وأعلن تهتكه بكل القيم وباسم القدر.

عن عبد الرحمن بن شريك قال: حدّثنا أبي عن الأعمش عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن سويد قال:

صلى بنا معاوية بالنُخيلة الجمعة في الصحن، ثم خطبنا فقال:

اني والله ما قاتلتكم لتصلّوا، ولا لتصوموا، ولا لتحجوا، ولا لتزكوا، انكم لتفعلون ذلك، وانما قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون.

١–الامامة والسياسة ١: ١٤٢.

٢–تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٨٩.

قال شريك في حديثه: هذا هو التهتك[١].

اذن فبناء سياسة معاوية بن أبي سفيان على فكرة القدر، تستدعي تعبئة جهود فريقه الروائي الذي سوف يستحدث فكرة القدر، واقحامها في التراث النبوي المبارك.

١-مقاتل الطالبيين لابي الفرج الاصفهاني: ٧٧.

على أن القدر سياسة أموية انتهجها معاوية وأسلافه وأوكلوا كل ما ارتكبوه في حق المسلمين الى قضاء الله وقدره، وأن الامور التي صدرت عنهم انما هي كانت لقدرٍ مقدور من قضاء الله، وبهذا برروا قتلهم وانتهاكم لحرمات الله بأنها من فعله تعالى وبقدر وقضاء.

روى أبو الفرج الاصفهاني أنّه دعا يزيد -لعنه الله- بعلي بن الحسين فقال: ما اسمك؟ فقال: علي بن الحسين قال: أولم يقتل الله علي بن الحسين، قال: قد كان لي أخ أكبر مني يسمّى علي فقتلتموه قال: بل الله قتله، قال: علي: الله يتوفي الانفس حين موتها[1].

قال له يزيد: وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم[2]فقال علي: ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرّأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم والله لا يحب كل مختال فخور.[3]

قال فوثب رجل من أهل الشام فقال: دعني أقتله، فألقت زينب نفسها عليه.[4]

١- الزمر: ٤٢

٢- تاريخ علم الكلام في الاسلام للشيخ فضل الله الزنجاني: ٣٢.

٣- الحديد: ٣٣.

٤- مقاتل الطالبيين: ١٢٠.

من هنا نرى أن يزيد يبرر سياسته الجائرة في قتله للعترة الطاهرة بفكرة القدر، وأن ذلك قضاءً محتوماً، وقدراً مكتوباً من الله، وليس هو الا منفذ لأمر الله المقدّر، الا أن الامام علي بن الحسين عليهما السلام فنّد هذه الفلسفة الجائرة وأبان الحق مما دعى ذلك الى التهديد بتصفيته وقتله، بعد أن أعيت يزيد الحجج في الدفاع عن قدريته، وتبرير سياسته.

وسرى ذلك القول منهم الى عمالهم ومشايعيهم، حتى أن الحجاج قال وقد قتل رجلا لأجل اظهاره ولاية أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام: اللهم انت قتلته، لو شئت لمنعتني منه..[1]

١-تاريخ علم الكلام في الاسلام للشيخ فضل الله الزنجاني: ٣٢.

أبو هريرة داعية القدر

ولم يكن أبرز مصداق من مصاديق هذه الفكرة القدرية غير أبي هريرة، الذي سيوظف كافة امكانياته من أجل ترويج هذه الفلسفة والدعوة اليها، أي سيؤسس أبو هريرة قاعدة القدر الأموية، تدعيماً لسياسة الجور التي ينتهجها الأمويون فضلاً عما يرتكبونه من مخالفات الشرع، بحجة أن الله قدّر ذلك وأجبرهم على ما هم عليه، فعلى العامة اذن الرضا بما قدّر الله

عن ابن سيرين، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: السعيد من سعد في بطن أمه،

وفي رواية يحيىٰ بن عبد الله التيمي، عن أبيه، عن أبي هريرة عنه عن النبي ﷺ وزاد فيه: والشقي من شقي في بطن أمه.[1]

ويوغل أبو هريرة في قدريته حتى يبرر ما يرتكبه هؤلاء من المحارم، وأن هذه الانتهاكات اللاأخلاقية التي يرتكبها الخلفاء وأتباعهم ما هي الا قدراً مقدوراً.

روى مسلم في صحيحه، مسنداً الى أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا، مدركٌ ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجلُ

١-الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة: ٧١.

زناها الخطا، والقلبُ يهوىٰ ويتمنىٰ، ويُصدّق ذلك الفرج ويكذّبه[١]

وروى أيضاًبسنده الى أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: المؤمن القويّ خيرٌ وأحبُ الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وان اصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلتُ كان كذا وكذا، ولكن قل: قدرُ اللهِ وما شاء فعل[٢].

على أن أبا هريرة يُرجع قدريته هذه الى نبي الله آدم، وهو أول من قال بالقدر فحجآدم موسى بالقدر عند مسائلته اياه، وكأن القدر أصل من أصول الديانات السماوية، فلا محذور من أن يدعو لها أبو هريرة ويتبناها معاوية ونظامه.

أسند البيهقي الى أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: احتج آدم وموسى عليهما السلام فقال موسى: أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال له آدم: يا موسى: اصطفاك الله بكلامه، وخط لك التوراة، أتلومني على أمر قدره عليّ قبل أن يخلقني قال: فحج آدم موسى.[٣]

والخبر مشعرٌ باذعان موسى بالقدر، وتصديقه لأدم عندما احتج بالقدر، مما يعنى أن الرواية مصدرها يهودي ويتبن يهودي كذلك، وهذا يزيدنا اعتقاداً أن «المصادر اليهودية للمعلومات» تسعىٰ لتزويد أبا هريرة بأفكارها، ليضيفها هو بدوره الى أحاديث موضوعة على لسان النبي ﷺ.

١- صحيح مسلم كتاب القدر قدّر على ابن آدم حفظه من الزنى حديث ٢٦٥٧.

٢- نفس المصدر حديث ٢٦٦٤. ٣-الاعتقاد على مذهب السلف: ٧١.

وماذا عن موقف الصحابة من «قدرية معاوية»؟

ولما أضحت فكرة القدر أداة لتبرير ما يرتكبه معاوية وأتباعه، تصدّى الصحابة لاحباط هذه المحاولة الخاسرة، وأعلنوا مناوئتهم لهذه «السياسة القدرية» وحاولوا بيان أن القول بالقدر مناورة سياسية، ليس لها علاقة بالدين الاسلامي الحنيف، ولا بأحاديث النبي الكريم ﷺ، لذا فقد كانت صلابة موقف الصحابة بل وحتى تابعيهم أمراً مهماً في صد هذه الاختراقات التي أحدثها معاوية وأتباعه من الرواة كأبي هريرة وأمثاله، واليك مواقف بعض الصحابة وتصديهم «لقدرية معاوية».

١ – عبادة بن الصامت:

خطب معاوية بن أبي سفيان يوماً فقال: لو لم يرني ربي أهلاً لهذا الأمر ما تركني واياه ولو كره الله أمرنا لغيّره، فأنكره عليه عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وغيره ممن حضر مجلسه من الصحابة.[١]

٢ – أبو ذر الغفاري وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء:

خطب معاوية يوماً فقال: أنا خازن من خزّان الله، أُعطي من أعطاه الله، وأمنع من منعه الله، فقام أبو ذر الغفاري رضي الله عنه وقال: كذبت يا معاوية، انك لتعطي من منعه الله، وتمنع من أعطاه الله، فقال عبادة بن الصامت: صدق أبو ذر، فقال أبو الدرداء: صدق عبادة.

---

١ – تاريخ علم الكلام شيخ الاسلام فضل الله الزنجاني: ٣٣

٣ – عبد الله بن عباس:

روى مجاهد عن ابن عباس، أنه كتب الى قرّاء المجبّرة في الشام:

أما بعد، أتأمرون الناس بالتقوىٰ، وبكم ضلّ المتّقون؟! وتنهون الناس عن المعاصي، وبكم ظهر العاصون؟! أبناء سلف المقاتلين، وأعوان الظالمين، وخزّان مساجد الفاسقين، هل منكم الا مفترٍ على الله يحمل اجرامه عليه، وينسبها علانية اليه؟ وهل فيكم الا من السيف قلادته، والزور على الله شهادته؟ أعلى هذا تواليتم، أم عليه تمالأتم؟ حظكم منه الا وفر، ونصيبكم منه الأكثر، عمدتم الى موالاة من لم يدع لله مالاً الا أخذه، ولا مناراً الا هدمه، ولا مالاً ليتيم الا سرقه أو خانه فأوجبتم لأخبث خلق الله أعظم حق الله، وخذلتم أهل الحق حتى ذلّوا وقلّوا، وأعنتم أهل الباطل حتى عزّوا وكثروا، فأنيبوا الى الله وتوبوا، تاب الله على من تاب، وقبل من أناب.[١]

والرسالة صريحة الاشارة لمعاوية بن أبي سفيان ولمن تبعه من أهل الشام، وهي في الوقت نفسه شديدة اللهجة في انكار دعوىٰ هؤلاء المجبّرة، الذين تسلّطوا على رقاب المسلمين فأهدروا حقوق الله، وهتكوا حرماته، وأحلوا حرامه، وحرّموا حلاله، وما لأوا أعداء الله، وحاربوا أولياءه، وحرّفوا كتاب الله، نصرةً منهم لاهل الباطل، وخذلاناً لاهل الحق.

٤ – الحسن البصري:

كتب الحجاج الى الحسن بن أبي الحسن: بلغنا عنك في القدر

---

١ – نفس المصدر: ٣٤.

شيء، فكتب اليه رسالة طويلة نذكر منها أطرافاً مقطّعة منها قوله:

فان الأمير أصبح في قليل من كثير مضوا، والقليل من أهل الخير مفضول عنهم، وقد أدركنا السلف الذين قاموا بأمر الله، واستنوا بسنة رسول الله ﷺ فلم يبطلوا حقاً، ولا ألحقوا بالرب تعالى الا ما ألحق بنفسه، ولا يحتجون الا بما يحتج الله به على خلقه، وقوله الحق: « وَمَآ خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » ولم يخلقهم لأمر ثم حال بينهم وبينه لأنه تعالى ليس بظلام للعبيد، ولم يكن في السلف أحد يذكر ذلك ولا يجادل فيه، لأنهم كانوا على أمر واحدٍ، وانما أحدثنا الكلام فيه لما أحدث الناس النكرة به، فلما أحدث المحدثون في دينهم ما أحدثوه، أحدث الله المتمسكين بكتابه ما يبطلون به المحدثات ، ويحذرون به من المهلكات.

ومنها قوله: فافهم أيها الامير ما أقوله، فان ما ينهى الله عنه فليس منه تعالى، لانه لا يرضى ما يسخط العباد لانه تعالى يقول : ولا يرضىٰ لعباده الكفر. فلو كان الكفر من قضائه وقدره، كان منه الرضا عمن عمله.

ومنها قوله: ولو كان الامر كما يقول المخطئون لما كان لمتقدم حمدٌ فيما عمل، ولا على متأخر لوم، ولقال تعالى: جزاء بما عملت بهم، ولم يقل جزاءً بما كانوا يعملون.

ومنها قوله: ان أهل الجهل قالوا: « ان الله يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ » ولو نظروا الى ما قبل الآية وما بعدها، لتبين لهم أن الله لا يضل الأ بتقدم الكفر والفسق لقوله: ويضلُّ الله الظالمين. أي يحكم بضلالهم،

وقال تعالى: فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين.

ومنها قوله: واعلم أن الامراء المخالفين لكتاب الله تعالى وعدله، يقولون في أمر دينهم بزعمهم على القضاء والقدر، ثم لا يرضون في أمر دنياهم إلا بالاجتهاد والبحث والطلب، والآخذ بالحزم فيه، ولا يعملون في أكثر دنياهم على القضاء والقدر.

ومنها محتجاً بقوله تعالى:«قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ». فلو كان الله هو الذي دسّاها، لما خيّب نفسه، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.[١]

ولم تقتصر فكرة القدر على الحاكم الأموي، بل تسربت الى أذهان العامة، فتعاملوا على ضوءها واعتقدوا كونها من الدين، فصاروا مجبّرة على دين ملوكهم، فان ذلك أيسر في التبرير، وأبلغ في الاعتذار.

حكي أن الحسن البصري مرّ بلصٍ يُصلب فقال: ما حملك على هذا؟ قال: قضاء الله وقدره، فقال: كذبتَ، لا يقضي عليك أن تسرق، وقضىٰ عليك أن تُصلب.[٢]

وبذلك حاول الصحابة ومن بعدهم التابعين أن يصححوا ما أحدثه معاوية من بدعة القدر، رداً على ما رواه أبو هريرة وأمثاله من حتمية فكرة القدر، وفلسفة الجبر فاستطاع الأمويون من خلالها تشييد هيكلتهم السياسية على أساس دعوىٰ «الشرعية» المفتعلة.

١-عن طبقات المعتزلة ١٩ - ٢٠ تاريخ علم الكلام في الاسلام وقد نقل المؤلف الرسالة عن المصدر هكذا مقطّعة: ٣٥. ٢-المصدر السابق: ٣٦.

واذا علمنا أن القدر فكرة يهودية أقحمت في معتقدات العرب بعد مخالطتها لهؤلاء اليهود القاطنين بين ظهرانيهم، فلا غرابة أن نجد لهذه الفكرة نشأتها الاولىٰ بين أوساط بادية العرب، الذين كانوا ينبهرون «باخوانهم» اليهود حسب تعبير الخليفة الثاني، فقد كان يجتمع مع «أخ» له من قريظة فيكتب له التوراة، ويعلّمه من جوامعها «ويدس» له من أحكامهم ما يوهم عمر وأمثاله أنها من الدين.

عن عبد الله بن ثابت الانصاري خادم النبي ﷺ قال: جاء عمر بن الخطاب الى النبي ﷺ ومعه جوامع من التوراة فقال: مررت على أخٍ لي من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة أفلا أعرضها عليك؟

فتغير وجه رسول الله فقال - أي الانصاري- أما ترىٰ ما بوجه رسول الله ﷺ؟

فقال عمر: رضيت بالله رباً، وبالاسلام ديناً، وبمحمدٍ رسولاً، فذهب ما كان بوجه رسول الله ﷺ فقال ﷺ: والذي نفسي بيده لو أنّ موسى أصبح فيكم ثم اتبعتموه وتركتموني، لظللتم، أنتم حظي من الأمم، وأنا حظكم من النبيين.[1]

وحسن ظن عمر «باخوانه» اليهود يدفعه الى الحرص على تلقي

١- فتح الباري ١٣: ٤٣٨، والمصنّف لعبد الرزاق الصنعاني ١٠: ٣١٣.

علومهم، ومتابعة أخبارهم، ولم يثنه نهي النبي ﷺ عن مرادتهم بل وأخذ علومه منهم، فهذا الشعبي يروي عن جابر أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض الكتب فقال: يا رسول الله اني أصبت كتاباً حسناً من بعض أهل الكتاب، قال: فغضب وقال: أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟

والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء، فيحدثونكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدّقوا به، والذي نفسي بيده، لو أنّ موسى كان حياً ما وسعه الاّ أن يتبعني.[١]

ولا يعني اصرار عمر على أخذه من «اخوانه» اليهود الا أن يقنع بما ألقوه اليه هؤلاء «الاخوة» من افكارهم، بل يتبين ما لقيه منهم وما سمعه عنهم، ولا نجد أبرز من القدر فلسفة يتفلسف فيها ابن الخطاب طالما لقيها من «اخوانه» أهل الكتاب الذين ألقوا لاعراب البادية مايبهرهم سماعه، وما يشوقهم معرفته، ولما كانت أفعال الانسان وعلاقتها بالغيب أو «المجهول» أمراً يثير فضولهم، ويحفّز رغبتهم في البحث، فان للقدر منشأ البحث عن المجهول واكتشاف أسرار الكون، الذي لا يزال البدوي وهو جديد عهدٍ بالاسلام، يحرص على حلها ومعرفة ألغازها، من هنا فان ظاهرة القول بالقدر بدت واضحة معالمها على فكر الخليفة وخفايا وجدانه، فهو يروي من القدر ما صار فلسفة الأمويين، ورؤية آل الخطاب كذلك فضلاً عما رواه أبو هريرة.

---

١ - جامع بيان العلم: ٣٣٩ دار الكتب الاسلامية القاهرة.

فعن طاووس سمع أبا هريرة يقول رسول الله ﷺ: احتج آدم وموسىٰ عليهما السلام فقال موسىٰ: أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة فقال له آدم: يا موسىٰ اصطفاك الله بكلامه، وخط لك التوراة، أتلومني على أمر قدّره عليَّ قبل أن يخلقني، قال فحج آدم موسىٰ.

قال: ورواه أيضاً عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ[1]

ولا نعلم أيهما صدّق الآخر، فأبو هريرة روى الحديث ورواه مثله عمر بن الخطاب، فهل يُعدُّ ذلك تصديقاً لما رواه أبو هريرة، أم أن أبا هريرة أخذ ذلك من الخليفة الثاني بعد أن كان الخليفة يلتقي مع «أخٍ» له من اليهود؟!

روىٰ البيهقي عن عبد الله بن عمر أنه قال:

حدثني عمر بن الخطاب قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، اذ طلع رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يُرىٰ عليه أثر السفر ولا نعرفه، حتى جلس الى رسول الله ﷺ فأسند ركبتيه الى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه ثم قال: يا محمد، أخبرني عن الاسلام، ما الاسلام؟

قال رسول الله ﷺ: الاسلام أن تشهد أن لا اله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ان استطعت السبيل، فقال الرجل. صدقت.

قال عمر فعجبنا له، يسأله ويصدقه، ثم قال: يا محمد أخبرني عن

١-الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة للبيهقي: ٧١ والبخاري كتاب التوحيد باب قوله وكلم الله موسى تكليما ٩: ١٨٢.

الايمان ما الايمان؟

فقال: الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر كله خيره وشره.[١]

وليس عمر وحده قدريّ النزعة، فآل الخطّاب التزموا مقالة القدر وشاعت عندهم وامتدت بوجود عبد الله ولده ورواها أبو هريرة وتبناها معاوية وآل أبي سفيان، فصارت ديناً لهم، ومذهباً يحتجون به على غيرهم.

حدّث يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقنا حجاجاً أنا وحميد بن عبد الرحمن، فلما قدمنا قلنا: لو لقينا بعض أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء القوم في القدر؟

قال: فوالله عبد الله بن عمر في المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه، والآخر عن شماله، قال يحيى: فظننت أن صاحبي يكل الكلام الي، فقلت: يا أبا عبد الرحمن، انه ظهر قبلنا ناس يقرأون القرآن ويعرفون العلم، يزعمون أن لا قدر، وانما الأمر أنف.

فقال عبد الله: فاذا لقيتم أولئك فأخبروهم أني بريء منهم وهم مني براء، والذي يحلف به عبد الله بن عمر، لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ، ما قبله الله عز وجل منه، حتى يؤمن بالقدر كله خيره وشره.[٢]

فالقدر اذن، عمري النشأة، أموي الامتداد، يؤسّس ثقافة الدولة ، ويؤصّل سياسة السقيفة.

١-الاعتقاد للبيهقي:٦٨. ٢-المصدر السابق.

خاتمة

ولا نغفل عن مسألة جديرة بالاهتمام ، وهي تعدد أبـي هـريرة وكونه غير واحد ، فقد ورد في أسانيد الاحاديث اسم أبي هريرة، وهو غير المبحوث عنه، فبالرغم من كون المبحوث عنه مـجهولاً، فان لأبي هريرة أسماءً لرجالٍ معلومين ومجهولين منهم :

١ – ابو هريرة البصري:

اسمه محمد بن فراس الصيرفي، قال أبو حاتم صدوق وقال ابن أبي الدنيا بصري ثقة. روى عن أبي قتيبة وأبي داود الطيالسي، وعمر بن الخطاب الراسبي..[١]

٢ – أبو هريرة:

عن مكحول، وعنه: أبو المليح الرقي، لا يُعرف[٢]

٣ – أبو هريرة بن أبي خلف أو مولى أبي خلف، قيل اسمه أيمن[٣]

٤ – ابو هريرة:

واثلة بن الاسقع الهمذاني المؤذّن..[٤]

١–تهذيب التهذيب ٩: ٣٩٧. ٢– ميزان الاعتدال ٤: ٥٤٠.

٣– لسان الميزان.

٤–تهذيب سير اعلام النبلاء للذهبي ٣: ١٦٣ رقم الترجمة ٥٤٤٥.

٥ – أبو هريرة: عيسىٰ بن بشر الحمصي:

روى عن الضحاك بن حمزة، روى عنه يحيىٰ بن سعيد العطار وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه فقال: صالح يكتب حديثه.[١]

٦ – أبو هريرة: عريف بن درهم الجمال الكوفي: روى عن زيد بن وهب، وعبد الله بن أبي الهذيل، قال ابن أبي حاتم سألت أبي عن عريف بن درهم فقال: هو صالح الحديث لا بأس به..[٢]

٧ – أبو هريرة: ابن الحافظ أبي عبد الله الذهبي،

يروي اجازة عن أبيه.[٣]

من اسمه هرير وهرار:

١ – هرير بن عبد الرحمن بن رافع بن خديج الانصاري.[٤]

٢ – هرار بن حبيب..[٥]

١–الجرح والتعديل لابن أبي حاتم٦: ٢٧٢. ٢–الجرح والتعديل لأبي حاتم٧: ٤٤.
٣–تقليق التعليق ٢: ٤٧. ٤–الاكمال لابن ماكولا ٧: ٣١٤.
٥–نفس المصدر٧: ٣١٨.

الخلاصة

بالرغم من شهرة أبي هريرة الاّ أنّ المثير في شخصيته، أن الباحث لم يقف على اسمه واسم أبيه، أي مجهول الاسم والأب والقبيلة.

أما الاسم فقد عَدّ ابن حجر العسقلاني في الاصابة مئتين وسبع وأربعين اسماً.

وأما قبيلته فلم يدل الدليل على أنها دوس، بل عدم انتسابه الى دوس هو الأرجح عندنا بعد التحقيق.

واذا كان أبو هريرة صاحب الشخصية الهزيلة كما عدّها العلامة شرف الدين رحمه الله في كتابه «أبو هريرة»، أو بالوضّاع كما حكم عليه الشيخ محمود أبو رية في كتابه «شيخ المضيرة»، فانّنا سلّطنا الضوء في دراستنا هذه على مجهولية شخصيته وارتباطاتها، ومن أين ينحدر، وبمن يرتبط، وما الذي يقصده من كل رواياته تلك.

على أن الجانب الأموي لشخصية أبي هريرة شغلت مساحة واسعة من هذه الدراسة، وكيف كان أبو هريرة أداة أموية لتنفيذ مآرب معاوية بن أبي سفيان بوضعه الحديث «المكذوب».

كما أن اندساس أبي هريرة في أوساط المسلمين، وعلاقته بكعب الأحبار أثار لدينا تساؤلاً آخر، وهو ما الذي يريده أبو هريرة

وما هي مهمته تحديداً، وما هي حقيقة ارتباطه باليهود.

على أن هذا الارتباط اليهودي لأبي هريرة أثار «حفيظة» التجسيم التي كان يختزنها أبو هريرة في ذاكرته، ودفع بفكرة القدر أن تأخذ مكانها من أحاديثه، ليجد أبو هريرة نفسه «محاصراً» بين رؤيتين يهوديتين، التجسيم والقدر، وهما أهم السبل لامكانية ترسيخ «صيانة» الخليفة عن كل ما يرتكبه من انتهاكات، فان ذلك أمرٌ مقدورٌ لا مناص من التسليم به، وبالتجسيم يستطيع أبو هريرة وأمثاله أن يحافظ على «وثنية» الجزيرة التي أرادها اليهود أن توقف امتدادات التوحيد الذي سيكتسح وجودهم، ويهدد مستقبلهم وتخيب أمانيهم بسببه.

وأبو هريرة داعية الأمويين دون منازع يبتكر من طرق التأييد لدواعي مهمّته وتوجّهات سادته ما يثير لدينا ضرورة دواعي البحث عن دوافعه المبهمة، ودواعيه المجهولة، لأنه «القادم من المجهول».

الفهرس

الاهداء ٣
المقدّمة ٥
رحلة مجهول.. بين تاريخ خادع.. وبين مؤرّخ مخدوع ٧
الأزمة الحديثية ومحاولاتُ التمويه ١١
أبو هريرة.. والرأي العام الاسلامي ١٣
خطوة نحو الوحدة الاسلامية ١٣
مهلاً أيها «السادة».. فلا يهولنكم قول الحق ٢٣
مشاريع تصحيح الرؤية العامة في شخصية أبي هريرة ٢٧
المدافعون عن أبى هريرة والمتوجسون من البحث العلمي ... ٢٩
ثقة لا يُعرف اسمه ٣١
بربر بن عشرقة والإنتماء غير العربي ٣٧
مجهول النشأة والأصل والنسب ٣٩
هل هو من دوس فعلاً ؟ ٤١
نفيٌ أم امارة؟ ٤٣
إذن ؛ هو النفي دون غيره ٤٥
غريبٌ حقاً..مثيرٌ حقاً ٤٧
لقاء غريب...وحوارٌ مثير ٤٩
أبو هريرة وكعب الاحبار ٥٣
لقاء الطور والسر المكنون ٥٣
الثالوث اليماني المجهول ٥٥
«الثالوث المجهول» فى تأسيس دولة ٥٩

نبؤات كعب الاحبار التوراتية ٦١
كعب الاحبار والتجسيم اليهودي ٦٧
أبو هريرة رائد المدرسة التجسيمية ٦٩
الانفتاح الروائي في عهد معاوية / الاسباب والدوافع ٧٧
عمر بن الخطاب مؤسس الدولة الاموية ٨١
الاعداد لمرحلة التحضير السياسي ٨٣
مروان والتشكيك بصحبة أبي هريره ٨٥
يهودية أبي هريرة ٨٧
في تفضيل نبي الله موسى على النبي ٨٧
أبو هريرة والنزعة الأموية ٨٩
بشائر ابي هريرة لشام معاوية ٩١
على شاكلة أبي هريرة ٩٧
ابتكار أبي هريرة في تكفير أبي طالب ٩٩
القدر بضاعة يهودية بضمانة أموية ١١١
يهودية القدر ١١٣
أموية القدر ١١٥
القدر..سيرةٌ أموية ١١٩
أبو هريرة داعية القدر ١٢١
وماذا عن موقف الصحابة من «قدرية معاوية»؟ ١٢٣
مدرسة القدر، النشأة والامتداد ١٢٧
خاتمة ١٣١
الخلاصة ١٣٣
الفهرس ١٣٥